



أثر التنشئة السياسية في الانتماءات الحزبية

أ.م.د. صلاح حسن أحمد

جامعة كركوك/كلية القانون والعلوم السياسية

THE EFFECT OF POLITICAL UPBRINGING ON PARTY AFFILIATIONS

Assist. Prof. Dr. Salah Hassan Ahmed

Kirkuk University / College of Law and Political Science

المقدمة

تمثل التنشئة السياسية الدعامة الأساسية في اعتناق الأفراد والجماعات أيولوجية سياسية معينة والايان المطلق بأفكار حزبية محددة، فهي تمثل قطب الرحى في عملية تلقينهم القيم والأعراف والممارسات ذات الطابع السياسي والتي من خلالها تتم بلورة مواقفهم واتجاهاتهم الفكرية التي تؤثر في سلوكهم السياسي، فالمعتقدات السياسية وعرسها في نفوس الناشئة تجسد الوظيفة الجوهرية لهذه العملية، وعليها تتكأ فحوى ومضمون التنقيف السياسي بصرف النظر عن التقييم الموضوعي والعلمي لها سواء كانت إيجابية تساهم في إنضاج الفكر السياسي للخاضعين لها، أم على النقيض من ذلك فقد تكون سلبية تؤدي إلى تبني قيم سلبية وسلوكيات حزبية ضيقة وهدامة تمثل أداة تخريب ومعمل هدم في بناء المنظومة الفكرية والسياسية والثقافية والاجتماعية سواء على صعيد الأفراد أو التنظيمات على حدٍ سواء.

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن التعويل على هذا الضرب من التنشئة تمثل نقطة الشروع الأولى في فهم واستيعاب الأنماط المختلفة لتوجهات ونوازع الأفراد السياسية ولا سيما بعد التطور الحاصل في مجالات البحث العلمي التي يتم من خلالها معرفة مكوناتهم الذاتية واتجاهاتهم السايكلوجية في القرب أو البعد من

هذا الحزب أو ذلك، فضلاً عن معرفة طبيعة العلاقة بين سلوكهم السياسي واتجاهاتهم الحزبية، ولا بد من الإشارة في هذا المجال إلى حقيقة مفادها أن معظم المجتمعات المعاصرة يشارك أغلب أفرادها بفعالية كبيرة في الحياة السياسية بصور مختلفة وبأشكال متباينة سواء عن طريق التصويت في الانتخابات أو الترشح فيها، أو عن طريق المشاركة والانخراط في المناشط السياسية المختلفة الأمر الذي يفصح عن طبيعة الروابط القائمة ما بين النظام السياسي ومجموع الأفراد المكونين له .

ويركز معظم المختصين والباحثين في مجال التنشئة السياسية على فهم سبر أغوار الاتجاهات السياسية للأفراد والجماعات التي تترجم إلى أفعال سلوكية معينة وتصنف تحت خانة ميول ليبرالية محافظة أو أنها تندرج ضمن مواقف راديكالية متطرفة، مما يكشف ويميط اللثام عن الميول والدوافع والأهواء السياسية للقائمين والمشرفين على هذه العملية دون غيرها، فالمواقف السلوكية المتبناة من لدن الناشئة، تعكس بلا شك عن طبيعة ونمط الأيدولوجية السياسية التي يحملها المعينون بهذه العملية دون غيرها، لذا فإن هذه التنشئة كفيلة بتوصيل الثقافة السياسية المطلوبة إلى البالغين منها مما تساعد على فهم التغيير الناشئ والتطور الحاصل في الحياة السياسية التي يتوقف نبضها وإيقاعها على درجة ومستوى النضج الفكري للفنوات والمؤسسات التي تدير هذه المهمة الجسيمة والخطيرة مما يجعل حياة الشعوب والمجتمعات فيها تكون على مفترق طرق، فإما تفوقها إلى بر الأمان والاستقرار أو تؤدي بها إلى الفوضى والفلتان الذي يقود إلى مصير مجهول لا يحمد عقباه. وآمل أني أعطيت الموضوع حقه في التحليل والتفسير وإن كنت قد قصرت فعذري أني أجتهد في ذلك والمجتهد إما يخطئ أو يصيب وعلى الله قصد السبيل.

المبحث الأول الإجراءات المنهجية للمبحث

أولاً: إشكالية الدراسة

تمثل موضوعة التنشئة السياسية من الموضوعات التي ثار وما يزال يثور حولها الجدل والأخذ والرد بين مختلف المشارب الفكرية والتيارات الأيدلوجية، وهذا ما تجلى في ضعف وجود رؤية واضحة وشاملة بحيث تمكن الجميع من تأسيس منظومة فكرية تأخذ على عاتقها من إعادة تشكيل العقل السياسي للأجيال تتسم بالانسجام لا التقاطع، وبالتقارب لا التباعد، فمسألة شيوع ظاهرة الخلاف والاختلاف وعدم احترام التنوع بين التيارات السياسية المختلفة يؤسس لقاعدة زرع بذور الفرقة والانقسام المجتمعي والسياسي الأمر الذي يهدد الأمن والاستقرار في الدول والمجتمعات التي لا تزال تمر بمرحلة التأسيس للحياة الديمقراطية إن جاز التعبير.

ومن الجدير ذكره في هذا المجال أن عملية التنشئة السياسية للناس لا تقف عند حدود مرحلة الطفولة وإنما تمتد وتستمر أيضاً في المراحل العمرية اللاحقة لأنه إذا كان تأثير الوسط الاجتماعي على الفرد وكذلك تجاربه المختلفة تفعل أثرها فإن هذا الوسط قد يتغير، وتجارب الفرد قد تتسع وتتجدد، الأمر الذي يدعوا إلى مواجهتها باستعدادات جديدة، أي بتنشئة سياسية مغايرة، ولا ريب في أن التنشئة في مرحلة الطفولة والصبا تلعب دوراً هاماً في رسم الخطوط الرئيسة للسلوك السياسي في مرحلة الرشد، ولكن صورة هذا السلوك لن تجمد، وإنما من المحتمل جداً أن يتعرض إلى عملية تفاعل نتيجة تأثر وتأثير تجارب الفرد في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه^(١).

(١) د. صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي (أسسه وأبعاده)، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١، ص ٣٦٧.

ومن هنا فإن التعاطي مع القضايا والأحداث السياسية المهمة بروح من المسؤولية الوطنية تتباين من حركة سياسية إلى أخرى ومن كيان سياسي إلى آخر، وهذا يرجع بالأساس إلى التباين الحاصل في عملية التنشئة السياسية من طرف إلى آخر كما ينبغي، حيث نرى بعض الأفراد لا يشاركون بفعالية فيها بفعل ظروفهم المزرية التي يعيشونها، ناهيك عن الإحباط الحاصل من فشل الأحزاب في تحقيق الأهداف التي تخدم المجتمع.

وهذا راجع إلى اهتزاز الثقة بالعملية السياسية ولا سيما من الفئات الاجتماعية المهمشة التي تعاني من الإحباط واليأس التي تنحصر اهتمام اللاعبين فيها على مصالحهم الفئوية والحزبية الضيقة وكيفية الاستفادة القصوى من مغامرات السلطة دون مراعاة المصالح الوطنية العليا للبلاد والعباد على حد سواء، وهذا ناجم عن الخلل المؤسسي في عملية التنمية السياسية التي من شأنها أن تقود عملية التحول الديمقراطي بحيث ترسخ القناعة لدى الجميع بجدوى المشاركة في كل عملية تغيير سياسي تقود إلى مستقبل مشرق.

إن الاخفاق في صنع تنشئة سياسية راشدة وصائبة سوف يولد عنفاً سياسياً الذي يمثل بدوره من أبرز التحديات التي تعانيها العديد من المجتمعات، حيث انه يؤدي إلى نتائج سلبية تضر بالدولة والمجتمع على حد سواء، فهو يكرس حالة عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي، ويهدد السلم الأهلي، ويسهم في استنزاف الموارد وتعطيل عملية التنمية، كما يؤدي إلى تفاقم حدة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية.

إن التغيير الحاصل في الفكر الانساني وامتنيات العمل فيه ولاسيما في الشق السياسي منه على وجه التحديد وبالذات في الآونة الأخيرة قد عزز الاتجاه نحو إعادة النظر في الحتميات في هذا الجانب ورجحت احلال النسبي محل المطلق فيها، فلم تعد هناك ما يسمى بالثوابت الفكرية واستلهاهم معانيها كمرجعيات

تخص عملية التنشئة بكافة أبعادها الاجتماعية والسياسية وحتى الدينية الا على نطاق ضيق جداً^(١) .

ويجب التنويه في هذا المجال إلى حقيقة مفادها أن التركيز أضحي يؤكد على النسبية بدل المطلق فيه وعلى التنوع بدل التشابه التام بين المجتمعات، لأننا نعيش مرحلة تحول نحو عالم جديد يؤمن بالتنوع الثقافي والتعددية الفكرية ويرفض الاستكانة على جميع المستويات وفي كل الميادين^(٢)، فإدارة عملية التنشئة السياسية لا بد وأن تدار بشكل مسؤول من قبل الجهات المختصة حتي تؤدي ثمارها يانعة تعم منافعها على الجميع دون استثناء وهذه المهمة ينبغي أن تضطلع بها مؤسسات وطنية مدركة تمام الإدراك لوظيفتها في عملية التطبيع السياسي لأفراد المجتمع بعيداً عن هيمنة الأحزاب وتفرداها في إدارة هذا الملف الحساس والخطير، فمكمن الخطورة في هذا الجانب عندما تكون الأحزاب السياسية أقوى من مؤسسات الدولة عندما تقود عملية التنشئة السياسي وهذه سمة من سمات الدولة الفاشلة .

ثانياً: أهمية الدراسة

تكمن أهمية دراستنا هذه كونها تعد مسؤولة عن رسم معالم الخارطة الفكرية والعقدية والحزبية لحياة الفرد والمجتمع، لكونها تمثل البوصلة التي يهتدي إليها الناشئة في اعتناق الأفكار والمبادئ التي يعتقدون أنها تمثل منهاج حياة لهم، فعملية التلقين والتعلم السياسية تبدأ في باكورة حياتهم ومقتبل أعمارهم بصرف النظر عن صحة وسلامة هذه العملية، التي تدار من قبل المسؤولين والمشرفين عليها، كما تبرز خطورة هذه العملية أنها تعد بمثابة المصنع الذي ينتج الوقائع السياسية لكونها تعمل على بلورة الميول والاتجاهات التي تقف خلف هذه الوقائع

(١) د. ماهر صالح علاوي وآخرون، حقوق الانسان والطفل والديمقراطية، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠٠٩، ص ٢٢١ .

(٢) د. حسنين توفيق اسماعيل، العنف السياسي في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٢، ص ٧ .

والتي تتطوي على أحداث دراماتيكية مثيرة في المشهد السياسي، فضلاً على أنها تقف خلف الكثير من التحولات الجذرية التي مرت وتمر بها الدول والمجتمعات عبر تأريخها الحديث والمعاصر.

ومما يجعل هذه العملية تحظى باهتمام منقطع النظير أن تأثيرها لا يقتصر فقط على تعزيز المواقف والاتجاهات السياسية فحسب، بل أن دورها يتعدى إلى دفع العناصر غير المسييسة إلى الاهتمام بالقضايا السياسية ولا سيما في زمن التحولات السياسية التي تتطلب المساهمة الفاعلة في الحياة السياسية كالمشاركة في الانتخابات وعملية التصويت أو الترشح فيها، كما تؤدي هذه العملية دوراً حيوياً في تقرير مدارك الفرد السياسية وردود فعله أزاء الظاهرة السياسية ولا سيما إذا كانت اللعبة السياسية هي اللعبة الأكثر تداولاً في الساحة الوطنية، و تؤدي التنشئة السياسية السليمة دوراً حيوياً في مواجهة الغزو الثقافي والتصدي لأفكار هدامة تعمل على إحداث شرخ كبير في البناء الاجتماعي تؤدي إلى حالة من الضياع والتشردم، كما تقوم هذه العملية إذا ما تم إتقان قواعد العمل فيها في المواجهة الفعالة للنزعات الرجعية والانهازامية والانعزالية التي تركزها بعض الثقافات الفرعية الهدامة والتي من أبرز دعوماتها ترسيخ المشتركات الوطنية التي تمثل نقطة الشروع في هذه العملية، كما تقوم أيضاً في مقاومة المفاهيم والقيم والمعتقدات المتخلفة التي ترسبت عن العهود السابقة، وإرساء قواعد وتقاليد تتلاءم مع روح العصر وسياق التطور الحاصل فيه. ومما يجعل التنشئة السياسية تحتل الأولوية في أجناسات المؤسسات المعنية بها هي حالة ركون البيئة السياسية إلى العنف والفكر الذي يحمل ملامح التطرف في مخرجاته المتشددة والمتشعبة مما أنتج أو دعم حالة تنامي مظاهر العنف السياسي والارهاب الفكري بجميع أشكاله^(١).

(١) علي عبد العزيز الياسري، دور مؤسسات المجتمع المدني في تعزيز الديمقراطية والأمن، مركز العراق للدراسات والبحوث، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٦١.

من خلال ما تقدم يتضح بصورة لا لبس فيها أن هذه التنشئة تعد حاجة وضرورة قصوى لا يمكن الاستغناء عنها ولا سيما في المجتمعات المأزومة التي تعاني من اعتلالات مزمنة ومن أزمات عميقة في واقعها الأمني والسياسي والاجتماعي، فهي تمثل قارب النجاة الذي سينقذ الجميع من الغرق في مآهات الفوضى وأتون الاضطراب الذي سيضرب بأطنابه كل مفصل من مفاصل الحياة وعندئذٍ سيصاب بالشلل وعدم القدرة على التصدي للاستحقاقات الوطنية، فالنجاح في قيادة سفينة المجتمع والدولة نحو بر الأمان تحتاج إلى ريان ماهر يجيد فن القيادة على احسن وجه وهذا النموذج الرائد لا يمكن أن يتخرج إلا من مدرسة التنشئة السياسية الرصينة التي يُشار لها بالبنان، والتي من أبرز تجلياتها أنها تجمع ولا تفرق فضلاً عن كونها تفكر بلغة ال (نحن) ولا تعمل بضمير ال (الأنا).

ثالثاً: مفاهيم الدراسة

تشكل المفاهيم المرجعية الأساسية التي يتم الاعتماد عليها في فهم وإستيعاب المعاني والمدلولات العلمية في مختلف ضروب المعرفة الانسانية، فالاتفاق حول معنى ومبنى هذه المفاهيم تمثل نقطة الالتقاء حول المقاصد التي تتضمنها، فإيصال فكرة موضوع البحث والدراسة بشكل سلس تتوقف إلى حد كبير على هذه المفاهيم التي سوف نستعرضها ونتناولها في دراستنا هذه وهي على النحو الآتي:

أولاً: التنشئة السياسية

يشير المعنى اللغوي لكلمة التنشئة أنها مشتقة من الفعل (أنشأ) الذي يعني أبتدع وأبتدأ كما في قوله تعالى (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات)، ويقال نشأ الليل أي ارتفع كما ورد في التنزيل العزيز (إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قبلاً)، والنشء يعني الصغار من كل مخلوق، وعندما نقول

نشأ ونشوءاً أي يعني أنه أرتفع وبدأ، وأنه في بداية ظهوره، ومنه نشأ الصبي فهو ناشيء أي إذا كبر وشب^(١) .

أما المعنى الاصطلاحي لهذا المفهوم فهو يعني (كل عملية يكتسب الفرد من خلالها معلوماته وحقائقه وقيمه ومثله السياسية ويكون بواسطتها مواقفه واتجاهاته الفكرية والايولوجية التي تؤثر في سلوكه وممارساته اليومية وتحدد درجة نضجه وفاعليته السياسية في المجتمع)^(٢) .

كما يعرف أيضاً على أنه (العملية التي يتعرف بها الفرد على النظام السياسي والتي تقرر مداركه للسياسة، وردود أفعاله ازاء الظاهرة السياسية)^(٣) .

أما التعريف الاجرائي لهذا المفهوم فيمكن صياغته على النحو الآتي:
(هي العملية التي يتعلم من خلالها الفرد الميول والحقائق والقيم والمثل والمبادئ والتي تلعب دوراً كبيراً في تأطير مواقفه السياسية واتجاهاته الفكرية وتعمل على تعيين مستوى نضجه العقلي والثقافي وتحديد مواقفه ازاء الظواهر السياسية)

ثانياً: الحزب

جاء هذا المفهوم كما ورد في المعاجم اللغوية ليعطي معنى الجماعة والطائفة من الناس، ومعنى تحزب القوم أي تجمعوا، ويراد من الحزب هو الصنف من الناس^(٤) .

أما المعنى الاصطلاحي له فيقصد به (جماعة متحدة من الأفراد تعمل بمختلف الوسائل الديمقراطية للفوز بالحكم بقصد تنفيذ برنامج سياسي معين)^(١)،

(١) ابن منظور، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار إحياء التراث الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١١ .

(٢) د. إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي، مطبعة الجامعة، بغداد، ٢٠٠٠، ص ٢٢٥ .

(٣) د. صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي (أسسه وأبعاده)، مصدر سابق، ص ٣٥١ .

(٤) الفيروز آبادي، العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب، قاموس المحيط، الجزء الأول، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٥٦ .

وهناك من يعرفه بأنه عبارة عن (تجمع منظم من المواطنين تأسس للدفاع عن آرائهم ومصالحهم وإعلانها من أجل تنفيذ برنامج الإصلاح بالمشاركة في الحياة السياسية بواسطة الأنشطة والوسائل المشروعة)^(١) .

بينما يذهب فريق من الباحثين في تعريفهم للحزب بأنه (جماعة من الأفراد تعمل بمختلف الوسائل الديمقراطية للفوز بالحكم والاستئثار بامتيازات السلطة بقصد تنفيذ برنامج سياسي معين متفق عليه بين أعضائه)^(٢) .

وكذلك يعرف هذا المفهوم على أنه (تنظيم دائم يتحرك على المستوى الوطني والمحلي من أجل الحصول على الدعم الشعبي والجماهيري بهدف الوصول إلى ممارسة السلطة بغية تحقيق هدف معين)^(٣) .

أما التعريف الاجرائي لهذا المفهوم فيمكن التعبير عنه بأنه

(كل تنظيم يضم مجموعة من الأفراد يؤمنون بعقيدة سياسية معينة ويهدف إلى نشرها والعمل على كسب الجماهير له بما يوسع من قاعدته الشعبية حتى يستطيع الظفر بالحكم)

ثالثاً: أهداف البحث:

من نافلة القول بأن القيمة العلمية لأي بحث أو دراسة تتجلى في الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها في ردف التراث العلمي من خلال إضافة أفكار جديدة في كل تخصص علمي أو إنساني ومن أبرز الأهداف التي ترمي دراستنا إلى تحقيقها هي ما يأتي:

(١) د. سليمان الطماوي، السلطات الثلاث في الدساتير العربية وفي الفكر السياسي الاسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٥٦٩ .

(٢) بلال امين زين الدين، الأحزاب السياسية من منظور الديمقراطية المعاصرة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٣، ص ١٨ .

(٣) د. رمزي الشاعر، النظرية العامة للقانون الدستوري، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٣٤٤ .

(4) (Hauriou) (a): gicque jet Gelanrd P. droit const itutionnel en isitutionnel politiques 1980 p.276

أولاً: التعرف على الدور الفعال الذي تلعبه عملية التنشئة السياسية في تحديد بوصلة انتماء الناشئة للوطن قبل الانتماء للأحزاب التي تنسجم مع الفكر والثقافة السائدة عند المشرفين والمتصددين لهذه العملية من خلال نافذة التأثير المعنوي الذي يمارسونه على الفرد والجماعة.

ثانياً: الاطلاع على أبرز الأساليب المتبعة في هذا النوع من التنشئة ومدى فعاليتها في توجيه الأفراد نحو الفكر المؤدلج الذي يتواءم مع ثقافتهم السياسية وقناعاتهم الذاتية التي يفضلونها عن غيرها من المعتقدات الأخرى.

ثالثاً: الإشارة إلى أهم الأنماط المتعلقة بهذا الضرب من التنشئة وأثرها الفعال في نشر الثقافة الحزبية الرصينة التي تقدر حرية الاعتقاد السياسي والانتماء الأيدلوجي الذي يثري الحياة السياسية ويجعلها تتسم بالفاعلية والديناميكية الذي ينتج حراكاً سياسياً ناضجاً .

رابعاً: لفت الانتباه إلى الوظيفة الجوهرية التي تضطلع بها قنوات ووكالات التنشئة السياسية في المجتمع وتحديد مدى التأثير التي تمارسها كل واحدة منها في نفوس الناشئة في مقتبل أعمارهم ولحين بلوغهم مراحل متقدمة في حياتهم.

خامساً: تقديم حزمة من التوصيات والمقترحات التي تسهم مساهمة فعالة في إنتاج تنشئة سياسية رشيدة تقود إلى شيوع ثقافة حزبية ناضجة خالية من الروح السلبية تؤمن بالحوار وتحترم الرأي والرأي الآخر وتتأى بالمجتمع في الدخول بأتون صراعات حزبية مدمرة.

سادساً: فرضيات الدراسة:

تمثل الفرضيات أفكاراً أولية وقضايا احتمالية تقرر وجود علاقة بين متغيرات الظاهرة الخاضعة للبحث من عدمها وينبغي أن تكون هذه الفرضيات قابلة للاختبار وتتمحور حول الإشكالية التي تتناولها كل دراسة، كما تفصح هذه الفرضيات المصاغة عن العوامل المؤثرة في المجالات والجوانب المتعلقة بموضوع البحث ناهيك عن تقديم تفسيرات للنتائج التي تتمخض عنها الدراسة، واستشراف

الرؤية المستقبلية لها فضلاً عن استعراض أهم الأجوبة التي ستثيرها التساؤلات الخاصة بهذه الدراسة واختبارها لمعرفة درجة صحتها ومصداقيتها، ومن بين الفرضيات التي اقترحناها بخصوص هذه هي ما يأتي:

أولاً: إن الانتماء الحزبي للأفراد يتوقف على نمط الفكر السياسي السائد عند القائمين على وكالات التنشئة السياسية .

ثانياً: اعتلال عملية التنشئة السياسية يولّد انحرافاً فكرياً يضر بأمن المجتمع واستقرار الدولة .

ثالثاً: إن أداء وكالات التنشئة السياسية لوظيفتها لم يكن بالمستوى المطلوب. سابعاً: منهجية الدراسة:

يُعد المنهج الذي يعتمده الباحث في دراسته بمثابة المرشد والدليل الذي يُستعان به للوصول إلى النتائج والأهداف المتوخاة من كل دراسة مما يضيء عليها الرصانة والجودة العلمية، وعلى هذا الأساس يتوجب أن يتواءم المنهج المختار مع موضوع البحث، وقد أرتيانا اعتماد منهجية بتفكيك محاور دراستنا هذه وهو المنهج (التحليلي) الذي نعتقد أنه كفيلاً بكشف الكثير من الحقائق المنضوية في متن هذه الدراسة ولغرض الاحاطة بالموضوع المبحوث من كافة جوانبه وزواياه.

المبحث الثاني

وكالات التنشئة السياسية المسؤولة عن الانتماءات الحزبية

تمهيد:

إن مسألة اختيار الانتماء لحزب معين دون غيره هي نتاج التنشئة والتربية السياسية التي تقوم بها مجموعة من القنوات التي تعبر عن نفسها كهيئات ووكالات بعضها يكتسب الصفة الرسمية والبعض منها يحمل السمة غير الرسمية، وإن دور كل واحدة من هذه الهيئات والوكالات ينبغي أن يكون تكاملياً تتسع فيه حالة التظابق والتماثل، ويتضاءل فيه هامش الاختلاف في الإسلوب والطريقة والآلية

التي يستعين بها في اداء المهمة التي تقوم بها، وإن كان تأثير هذه الهيئات والوكالات يتباين من واحدة لأخرى على الناشئة لاعتبارات ذاتية وموضوعية لسنا بصدد الخوض فيها، سنستعرض أهم هذه الوكالات في هذا المجال.

أولاً الجماعة الأولية:

تمثل الجماعة الأولية جماعة مرجعية لكل الأفراد مهما تباينت جنسياتهم واختلفت ثقافتهم وتنوعت آيدولوجياتهم لكونها تمثل البيئة الاجتماعية الأولى التي يتربص فيها الانسان وتكون ذات اثر مباشر عليه عبر مسيرة حياته وهو لا يمكن أن يستغني عنها وهذه الجماعة تتعدد قنواتها وتضم مجموعة من الوحدات الاجتماعية التي تمتاز بقوة علاقتها الاجتماعية ويزخم تفاعلها ودوام استمراريتها وقوة تماسكها ومن أبرز هذه الجماعات هي الأسرة التي تحتضن الفرد قبل أن تحتضنه أية جهة أخرى وهي جماعة مرجعية قديمة جديدة، حيث ينشأ في ظلها ويتربص في كنفها حتى يبلغ سن الرشد والنضوج، لذا فإن لها النصيب الأوفر واليد الطولى في تنشئته إجتماعياً وتربوياً وسياسياً، التي تحصنه من الوقوع في مراتع الانحراف الفكري وأتون الانزلاق العقائدي الذي يفضي إلى الخراب الأخلاقي والاعوجاج السلوكي .

وبما أن هذه الجماعة تمثل الكيان الأول الذي يتم فيه وضع الخطوط الأولى والاتجاهات الأساسية للشخصية، وإن كانت هذه الشخصية قابلة للتأثر والتغير خلال مراحل العمر المختلفة عن طريق مجالات الحياة الأخرى، إلا أن العلاقات داخل هذا النمط أشد خطراً وأبعد أثراً في تكوين شخصية الفرد وتشكيلها لا سيما في السنوات الأولى من حياة الصغير، ولذلك فقد لاحظ المختصين والمشتغلين في مجال التنشئة السياسية أن السلوك المقبول أو السلوك المضاد في شخصيته تظهر بوادره في السنين المبكرة من حياته بصور مختلفة وبأشكال متعددة كالتسامح أو التطرف والطاعة أو التمرد والاحترام أو المخالفة، وهنا تقف الثقافة السائدة في البيت أو في داخل جماعات الرفقة وراء الخصائص الشخصية للعضو فيها،

فاستقامة الفرد تتبع من استقامة الجماعة الحاضنة له واعوجاجه وليد انحرافها، وإن معرفته للصواب من الخطأ وموقفه منهما يتأثر على موقف الناظرين فيها، مما يؤكد أهمية أثر المستوى الفكري والأخلاقي للمتصددين للمسؤولية في هذه الجماعة على شخصيته وسلوكه، لذا فإن من أساسيات الدور الأساسي ما يؤديه المشرفين في مراحل الطفولة المبكرة من إعداد فكري للصغار، ومما يجعل هذا الدور مصيرياً للفرد والمجتمع هو أن الطفل يولد وهو كامل الاعتماد على غيره في تلقي الرعاية الذهنية والعاطفية والفيزيقية على حد سواء وتكون الصيغة التي تتبعها الجماعة في تنشئته متدرجة من الأبسط إلى الأعقد ومن المحسوس إلى المجرد ومع مرور الأيام والسنين تنجلي أمامه الكثير من أمور الحياة فتصبح مفهومة لديه بعد أن كانت غامضة في تصوره.

فهذا النمط من الجماعة تمثل الوعاء الثقافي الأول الذي يشكل حياة الفرد ويتأوله بالانتشئة بما فيها من علاقات وأنماط ثقافية تعبر عن الثقافة الأم كالمسؤولية الاجتماعية والتماسك العائلي والعلاقات القرابية وسوف نسلط الأضواء على أبرز مكونات هذه الجماعة وهي:

١ الأسرة:

تعد الأسرة الحاضنة الأولى للفرد منذ بواكير حياته ونعومة أظافره في عملية تربيته وتعليمه في مختلف جوانب الحياة وضروب المعرفة، فلقد أثبتت نتائج الدراسات والأبحاث السابقة والمعاصرة على التأثير الكبير والمباشر الذي يلعبه الوالدين في صياغة أفكار أبنائهم ونسج مواقفهم وتحديد ميولهم وتعيين اتجاهاتهم وبرمجة عقولهم بما ينسجم مع معتقداتهم وثقافتهم السياسية، فدرجة التماثل في الفكر والسلوك والممارسة ما بين الوالدين من جهة والأبناء من جهة أخرى تصل إلى مستويات عالية من التطابق، وفي ذات الوقت تتضاءل فيه مساحة الاختلاف ما بين الطرفين إلى حد كبير في هذا الجانب، ومما يعزز هذا الرأي بهذا الخصوص ما يذهب الكثير من المختصين والباحثين إليه أن هناك علاقة وثيقة

بين النشأة المبكرة للفرد في وسط عائلي معين وبين النظام السياسي، لأن بنية السلطة في الأسرة تترك أثرها على الصغير وتتعرض فيما بعد على موقفه من القيم والأدوار التي تتبناها الوحدات الاجتماعية والسياسية، فعلاقة الابن بوالديه تؤثر فيما بعد على موقفه من السلطة، فهو يكتسب أول تجربة له مع السلطة في وسطه العائلي، التي قد تكون سلطة الأب أو سلطة الأم أم سلطة الأفراد الآخرين في الأسرة، ومن ثم يتهياً إلى إطاعة السلطات الأخرى كالسلطة في المدرسة والسلطة في الشارع والسلطة في المؤسسة، والواقع أن تأثير الأسرة على تنشئة الطفل اجتماعياً وسياسياً يكون على أشده في المجتمعات التي يقل فيها التمايز أما في المجتمعات التي يكثر فيها هذا التمايز، فإن تأثير الأسرة في التنشئة السياسية يضعف نسبياً، وذلك لأن الأسرة في الصنف الأول من المجتمعات هي تمثل الجهة الوحيدة التي تأخذ على عاتقها القيام بتنشئة أبنائها وتعلمهم مختلف قواعد السلوك وأنماط التفكير كما هو الحال في المجتمعات التقليدية والمجتمعات الأقل تطوراً ورقياً وحضارةً وبذلك فإن جيلَ مواقفهم وتصرفاتهم هي تكون بمثابة المرآة العاكسة لاتجاهات وميول من أشرف على تنشئتهم من الوالدين والمربين والأوصياء عليهم، وبذلك نجد أن هذه الوحدة الاجتماعية على قدر كبير من التأثير في ترك بصماتها واضحة جلية على أفعال وسلوكيات الأبناء في مستقبل سني حياتهم وحتى بلوغهم من العمر عتياً .

ولذلك لا نجد غرابة من وقع الأسرة العظيم والخطير على حاضر ومستقبل أبنائها لكونها تجسد الدعامة الأساسية التي يتكأ عليها البناء الاجتماعي والفكري والسياسي لهم بوصفها تمثل حجر الزاوية في هذا المجال، وهي تعد ضرورة من الضرورات الحتمية لسر وجود وديمومة الجنس البشري، وبما أن الأسرة تعد الوحدة الاجتماعية الأولى التي تحتض

وغير ذلك من الاتجاهات السلوكية والممارسات الاجتماعية التي يتعرض لها الفرد، فضلاً عن ذلك فالأسرة تعد أداة رئيسة لنقل الثقافة الاجتماعية التي

يعرف بها عصره وبيته على السواء ويعرف الأنماط العامة السائدة في مجتمعه وتختار الأسرة من الثقافة ما تراه مناسباً حيث تقوم بتفسيره وإصدار الأحكام عليه مما يؤدي إلى التأثير على اتجاهات أبنائها تمتد لسنوات طويلة من عمرهم وعليه يمكن القول أن نظرة النشئ إلى الميراث الثقافي تعكس وجهة نظر أسرته إلى حد كبير (١) .

ومن هنا نستنتج أن قوة العلاقة الاجتماعية التي تربط الابناء بالديهم لها الأثر البالغ في تعميق وترسيخ طبيعة التفكير والهوى السياسي لديهم مما يجعلهم يعتقدون بسداده وصوابه وتفضيله على غيره من الأفكار والميول والأهواء السياسية الأخرى.

٢ جماعة الرفقة:

لا يمكن لأي باحث موضوعي أن ينسى أو يتناسى التأثير الذي تحدثه جماعة الرفقة في ترك بصماتها على ميول واتجاهات الفرد وسلوكه الاجتماعي والسياسي، فالدور الذي تمارسه هذه الجماعة لا يقل أهمية عن الدور الذي تلعبه الأسرة في تشكيل العقل الاجتماعي والسياسي لأبنائها، وبذلك فإن الآثار التي تتركها هذه الجماعة على كل عضو فيها هو سلاح ذو حدين، فإما تأخذ به إلى طريق السداد والرشاد أو إلى سبيل الغواية والضلال، فطبيعة الفكر ونمط الثقافة ونموذج السلوك الذي يعتنقه المرء هو امتداد للفكر والثقافة والسلوك الذي هو عليه النلة التي يرتبط بها ولا سيما عندما يكون في ريعان عمره وزهرة شبابه وهي مرحلة عمرية يكون فيه على استعداد لتلقي مختلف الأفكار والثقافات، وقد كان موضوع جماعة الرفقة ولا يزال محط اهتمام العلماء والمختصين لما لهذه الجماعة من تأثير منقطع النظير، فالمرء غالباً ما يكون شديد التأثر برفاقه وسريع الانقياد لهم واقتفاء أثرهم وتتبع أثرهم حذو النعل للنعل يشاركونهم في أفراحهم وأتراحهم وفي السراء والضراء، كما تصنف هذه الجماعة من أشد الجماعات الأولية تأثيراً على شخصية

(١) فهمي سليم الغزوي وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٦، ص ١٦٩

الفرد وعلى بلورة أفكارهم ومعتقداتهم وثقافتهم، وغالباً ما يكون المرء يصطفي أقرانه من الذين يتماثل معهم في الفكر ويتطابق معهم في الميول وينسجم معهم في الأهداف والغايات ولذلك قيل قديماً أن صاحب صاحب.

وقد حازت هذه الجماعة اهتمام الكثير من العلماء والمختصين الذين كانت محور دراساتهم وأبحاثهم تدور حول النتائج المتمخضة على ملازمة الأقران، فالمرء غالباً ما يكون شديد التأثر بأقرانه حيث يكون سريع الانقياد لهم، يقتفي خطواتهم، ويتتبع آثارهم ويشاركهم في مختلف فعالياتهم وأنشطتهم وبذلك تتبلور لديه مختلف أنواع السلوك الأساسية والتي في ضوئها تتشكل نمط شخصيته، وغالباً ما يكون اختيار المرء لأقرانه من الذين يتماثل معهم في السن وطبيعة التفكير وتماثل الميول والاتجاهات مما يخلق حالة من الانسجام والتوافق فيما بينه وبين أقرانه، وبذلك تمثل هذه الجماعة المرآة العاكسة لأخلاق الفرد وتوجهاته في مناحي الحياة المختلفة بما فيها توجهاته الثقافية والفكرية والسياسية على حدٍ سواء^(١) لا تتحقق إلا بمد جسور التعاون وتعزيز الأواصر ما بين أفراد المجتمع وتماسكهم وتضامنهم فيما بينهم، التي تعد جماعة الصحة النواة والمنطلق في بلوغ الأهداف ونيل الغايات أسماها وأسناها، ولا غرابة أن نقول أن تأثير هذا الصنف من الجماعة كانت ولا تزال المنافس الرئيس للأسرة وبقية هيئات ووكالات التنشئة السياسية في التوجيه والالهام والتربية والسلوك والنشاط .

ونظراً للخطورة الكبيرة التي تشكلها هذه الجماعة على سيرة وسلوك المرء لكونها سلاح ذو حدين فلا بد للسلطة الوالدية من التدخل في هذا المجال في تحديد صنف هذه الجماعة لأنجالهم قبل الاختلاط بها والمشاركة في مختلف الأنشطة والفعاليات التي يمارسونها ومراقبتهم المستمرة والدائبة حتى يحصنونهم من الوقوع في مراتع الانحراف الفكري والأخلاقي .

(١) أنور الشرقاوي، انحراف الأحداث، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١١٦

ثانياً الجماعة الثانوية:

تقتضي مسيرة الحياة على الانسان أن يرتبط بأكثر من جماعة أو تنظيم غير أسرته التي تعد أم التنظيمات الأساسية له، فطبيعة المهنة التي يمتنها ونوع العمل الذي يختاره والهواية التي يمارسها تفرض عليه أن ينتمي للجماعات وللتنظيمات التي هي من نفس جنسه في المهنة والعمل والهواية، فالرباط الذي تربط الفرد بمثل هذه الجماعة هي رباط روحي ومعنوي قبل الرباط المادي والمصلحي، فالتماثل في الفكر والمعتقد والتطابق في الهدف والغاية والانسجام في الهوى والهواية، كلها تمثل قواسم مشتركة تجعل من كل عضو فيها وثيق الصلة بها شديد التمسك بعضويتها مثل النقابات العمالية التي ينتمي إليها العمال، والجمعيات الفلاحية التي ينتمي إليها الفلاحين، والنقابات المهنية كنقابة المعلمين والمهندسين والأطباء والفنانين والأندية الأدبية والرياضية نجد أن العضوية في مثل هذه التنظيمات ينتمي إليها الأفراد الذين يشتركون معها في نفس العنوان الذي تحمله، لذلك بقدر ما هو حمل نفس الهموم والمعاناة والتطلع نحو تحقيق الطموحات المشتركة والدفاع عن مصالحها وتطوير أحوالها، ولا غرابة من قال سابقاً شبيه الشيء منجذب إليه.

وتتميز هذه الجماعة بالتخطيط المدروس ويهتم أعضاؤها بحاجاتهم وشؤونهم الخاصة ويطلق عليها أحياناً بجماعة ذات الاهتمام الخاص، والعلاقات فيها غير شخصية وتتكون هذه الجماعة من أفراد لا يعرفون بعضهم بصورة شخصية، وقد لا يكون بينهم تفاعل مباشر وغالباً ما تكون موجودة مثل هذه الجماعة في المجتمعات الصناعية وغير التقليدية^(١).

ومن أهم الأنشطة والفعاليات التي تهتم بها هذه الجماعة هو نشر وترسيخ الأفكار والقيم والممارسات وذلك من خلال المناقشات التي تدور في الاجتماعات والمؤتمرات والندوات والحلقات التثقيفية التي تعقدها، كما تعنى هذه الجماعة بتنمية

(١) فهمي سليم الغزوي وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، مصدر سابق، ص ١٣٨.

الجوانب الفكرية والثقافية لأعضائها مما تصقل مواهبهم وتكسبهم المهارات والكفاءات ومثل هذه الواجبات لا شك أنها تمثل حجر الزاوية في مواجهة التحديات العقائدية التي يمارسها الآخرون ضدهم^(١)، ولهذا نجد عندما تعلن نقابة أو جمعية إلى تجمع أو إضراب أو مظاهرة من أجل تحقيق هدف معين، نجد أن أعضائها يتقاطرون لتلبية نداء نقابتهم أو جمعيتهم، مما يدل دلالة واضحة لا لبس فيها مدى النفوذ الذي تمارسه مثل هذه النقابات والجمعيات على الأنشطة التي يقومون بها والفعاليات التي يمارسونها، وإن هذا النفوذ ودرجته يمكن قياسه وتقسيه، ومن هنا يعتقد العضو الذي يخضع لأوامر وتوجيهات التنظيم الذي يرتبط به أن كل ما يصدر من تنظيمه يعود إليه بالنفع والفائدة، ولا ريب أن ذلك يتطلب استعداداً نفسياً لتقبل هذا التأثير، ولذلك يعد التضامن الاجتماعي والترابط المعنوي العامل الحاسم في عملية التأثير والتأثر ما بين العضو ومنظّمته، كما يجب التنويه في هذا المجال أن عامل الثقة يلعب دوراً هاماً في تقبل التأثير، ومن ثم يتطلب إحداث التأثير في الفرد أن يكون الأخير على ثقة من صحة التأثير .

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن عملية إحداث مثل هذا التأثير لا تقتضي التلويح بالحصول على بعض المكتسبات كالتسهيلات الاقتصادية والخدمات والمال فقط، بل أن قبل ذلك كله يعود إلى الايمان الراسخ والقناعة المطلقة بأفكار ومبادئ كل تنظيم التي جعلت من العضو المرتبط به ينصاع لكل ما يصدر عنه من قرارات وتوصيات بحكم التزامه الأدبي تجاهه .

ثالثاً هيئات التربية والتعليم:

تعد هيئات التربية والتعليم من أبرز وأخطر الهيئات التي تترك بصماتها على شخصية النشء وهي بذلك تمثل المنافس الذي يزاحم الأسرة في هذا المجال، فدور المعلم والمدرس في التوجيه والارشاد والتوعية لا يقل عن دور الأم والأب في أداء هذه المهمة، ففي سنوات الدراسة التي يقضيها المرء في مسلك التعليم وهو في

(١) د. إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي، مصدر سابق، ص. ٢٤١

ربيع العمر وريعان الشباب، ففي هذه المرحلة الحساسة والجوهرية من حياته ينكب على تنمية ذاته وتطوير شخصيته واستقلالية فكره بفعل تأثير مناهج الدراسة التي تعمل على تسويق الأفكار وترويج المبادئ التي تمثل ثقافة المجتمع وحضارة الأمة، فالهيئات التعليمية بما لها من سطوة نافذة على الطلبة فإنها تمارس وظيفة تعليم الجيل الصاعد مبادئ التربية الوطنية التي تجسد محور التنقيف السياسي والذي تدور حوله تطبيع هذا الجيل على كيفية المشاركة الفاعلة في الحياة السياسية بما يخدم مسيرة المجتمع نحو النهضة والتقدم والمستقبل المشرق الواعد، وإن مثل هذه المشاركة لا يمكن أن ترى النور إلا من خلال الفهم الصحيح والإدراك الواعي لدورهم في حياة أمتهم وأوطانهم.

ومن الأمور التي باتت من المنفق عليها هي الدور الحيوي الذي باتت تلعبه الهيئات التربوية والتعليمية في إعداد جيل مسلح بالعلم والثقافة والفكر السديد بدءاً من رياض الأطفال ومروراً بالمدارس الابتدائية والثانوية وإنهاءً بالمعاهد والجامعات التي تقوم بعملية التنوير الثقافي وصقل المواهب والمهارات واكتساب الخبرات العلمية والتقنية، فضلاً عن دورها في تنمية وتطوير المشاعر الوطنية ومتابعة الشؤون السياسية وتكوين الآراء الناضجة حول المسائل والأحداث السياسية التي تجري على الساحة المحلية والاقليمية والدولية، وقد أثبتت دراسات أخرى عن الترابطات الهامة بين التربية والتعليم وبين الوعي الفكري والسياسي والطبقي للأفراد حيث تبين بشكل لا يقبل الشك ما للتربية والتعليم من أثر بالغ في بلورة المواقف والاتجاهات ذات الطابع السياسي والحزبي وإن كانت بدرجات متفاوتة^(١).

ولا يمكن تجاوز حقيقة مفادها وهي أن في أوقات الهزات السياسية والانقلابات العسكرية وتغير أنظمة الحكم نجد أن كل نظام سياسي جديد استطاع أن يقبض على مقاليد السلطة نجد أنه لا يتوانى في ترسيخ مبادئ تربوية وفكرية لدى الرأي العام والتي تتشكل بمقتضاها عقول المواطنين بشكل تدفعهم إلى تقبل

(1) Gabriel Almond and Sydney verba: The Civic Culture ،Little Brown ، Boston ،1989 ،p. 315- 324 .

النظام السياسي الجديد كونه يدرك أن دور المؤسسة التربوية والتعليمية هو دور في غاية الخطورة على مفاهيم وقيم وأفكار الجيل الجديد السياسية والحزبية^(١).

نخلص إلى القول مما تقدم أن المؤسسات والمعاهد التربوية والتعليمية التي تعي مسؤوليتها وواجبها الملقى على عاتقها لا تألوا جهداً في خلق ثقافة رصينة ومتحضرة في العبور بالمجتمع من ريقة التخلف إلى فضاء التقدم، كما تساهم هذه المؤسسات والمعاهد على رفع الوعي الثقافي والسياسي لأبناء المجتمع من أجل تعزيز حالة الاستقرار، والحرص على تمتين أواصر الثقة بين الجميع مما يمهد الطريق نحو خلق مناخ سياسي مبني على أساس فكرة قبول الآخر، ولا يفوتنا أن نغفل شخصية المعلم والمدرس في نفوس التلاميذ والطلاب، فهي ذو تأثير خطير في نفوسهم ولها اليد الطولى في صناعة أفكارهم وأدلجة عقولهم، فهم ينظرون إلى معلمهم ومدرسيهم على أنهم أناس ملهمين لهم في حياتهم يقتفون خطاهم ويقتدون بسلوكهم باعتباره يمثل الانموذج الذي يجب أن يحتذى به، كما ينبغي الالتفات إلى الدور الذي تضطلع به المناهج والمقررات الدراسية في صب عقول وأفكار هؤلاء الناشئة بال قالب الذي يتماشى مع أيديولوجية ومنهجية المؤسسة التربوية والتعليمية ولا سيما إذا كانت هذه الأيديولوجية والمنهجية مدعومة ومتبناة من النظام السياسي الحاكم الذي لا ينفك يتقف الرأي العام على ضرورة الايمان بها والتمسك ببنودها وبالتالي لا مفر من اعتناقها ولا محيص من تبنيها والدفاع عنه .

خامساً الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة:

بعد التقدم العلمي الهائل الذي حصل في مجال تقنية المعلومات ووسائل الاتصال الحديثة أضحت للماكنة الاعلامية من السطوة التي لا تقهر بحيث لا يستطيع أحد من الوقوف بوجهها في التأثير المنقطع النظير الذي تمارسه على عقول وأفكار الناس بمختلف مشاربيهم واتجاهاتهم وأعمارهم بما فيهم النشء

(١) د. مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٣٢٢

الصغير الذي يعد الفئة الأكثر تأثراً بها أكثر من غيرهم بسبب ضعف ملكة النقد لديهم وضعف قدرتهم في التمييز ما بين هو ضار وما هو نافع لما تبثه من مواد إعلامية وإعلانية، ومما يجعل لهذه الوسائل عظمة في التأثير هو اقترانها بالصوت والصورة معاً فضلاً عن ذلك هو طول فترة المكوث أمامها، وبذلك فهي تعمل على تنمية القوى الذهنية والعقلية والسيكولوجية لمستخدميها في مختلف الاتجاهات السلبية والإيجابية لأنها سلاح ذو حدين، كما يجب الإشارة إلى أن الطفرة الهائلة التي حصلت في هذا المجال جعلت من العالم المترامي الأطراف عبارة عن قرية صغيرة بإمكان كل فرد فيها أن يطلع عن كذب على كل ما يجري فيها من أحداث أولاً بأول، وأن يؤثر ويتأثر فيها لذلك فهي أضحت كالسيف المسلط الذي لا يستطيع أي شخص من التحرر من سيطرته، ولا يختلف اثنان من أن الماكنة الإعلامية تؤثر على الآراء والمواقف السياسية بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تدعيم أو تغيير المواقف والميول والاتجاهات التي يحملها أبناء المجتمع أزاء القضايا والأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية والايولوجية التي تهمهم شريطة قيام هذه الوسائل ببث وعرض مناهج وفعاليات تتلائم مع طبيعة الأفكار والممارسات المطلوب ترسيخها ونشرها بين الجماهير، وشريطة قيام اجهزة وقطاعات المجتمع الأخرى بتأييد وتعزيز مثل هذه الأفكار والممارسات من هذه الحقيقة يجب على المسؤولين الاهتمام ببرامج وأنشطة وسائل الاعلام والسيطرة عليها بطريقة تؤمن احداث التغيير المنشود في الآراء والمواقف^(١)، لذلك لا غرو من توظف النظم السياسية القابضة على السلطة والحركات والتيارات والأحزاب السياسية التي تتبنى ايدولوجية حزبية معينة ما وصل إليه العلم الحديث في مجال مواقع التواصل الاجتماعي في نشر المفاهيم والأفكار السياسية من أجل الكسب والتثقيف الحزبي لصالحها وإرساء قواعد وتقاليد وقيم تتلاءم مع روح العصر وسياق التطور نحو إقامة وتأسيس منظومة سياسية وحزبية لها القدرة والمناعة في

(١) د. احسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي، مصدر سابق، ص ١١٣

التحصين من القيم الثقافية الهدامة ومواجهة النزعات الرجعية والانعزالية التي تقف ورائها بعض الجهات المشبوهة، وبهذا يكون المواطن على مستوى عال من الوعي بالأمور السياسية ويقوم بدور فعال فيها ومن ثم يؤثر في المشهد السياسي بطرق وأشكال وصور مختلفة كالمساهمة الفعالة في الانتخابات والمظاهرات والاحتجاجات والاعتصامات، فضلاً عن ممارسة النشاط السياسي من خلال العضوية في حزب سياسي أو جماعة ضغط .

وعلى ضوء ذلك تسعى أغلب الأحزاب السياسية إلى ضم عدد أكبر من الأفراد في عضويتها وتبذل أكبر جهد ممكن في التأييد الشعبي لها على نطاق واسع من خلال بوابة وسائل الاتصال الحديثة عن طريق نشر مبادئها وأفكارها وحشد النصر لها وغسل أدمغة الناشئة بما يتوافق مع أيديولوجيتها وعقائدها بعيداً عن إتباع الوسائل التقليدية التي أضحت جزءاً من الماضي لأنها لم تعد تتسجم مع روح العصر ومتطلبات المرحلة الحالية، بل يمكن القول أن أي تنظيم حزبي لا يوظف هذه التقنية بالشكل المطلوب فإنه لن يستطيع من أن يحقق أهدافه السياسية وأن تكون له قاعدة جماهيرية يستطيع أن يتسيد من خلالها الحياة السياسية التي تؤهله للوصول إلى سدة الحكم

المبحث الثالث

أنماط التنشئة السياسية وعلاقتها بالانتماء الحزبي

تمهيد:

هناك أكثر من نمط لعملية التنشئة السياسية لكونها تهتم بالجذور الشخصية والسيكولوجية للتوجهات السياسية للأفراد والجماعات، فالحياة السياسية مفعمة بالحيوية والديناميكية من حيث الارتباطات والمشاعر والدوافع الذاتية والموضوعية، فضلاً عن كونها تمثل عملية توصيل للثقافة الحزبية ومدخلاً لفهم وجهات النظر المختلفة المتعلقة بهذا الجانب، وعن طريقها يكتسب المرء الكثير من الخبرات والتجارب التي تنير بصره وبصيرته، وبذلك تكتمل عملية النضوج السياسي له من

خلال تجاوز الكثير من العثرات والعقبات التي مر بها طيلة فترة حياته ولا سيما التي تتعلق بجوانبها السياسية والحزبية.

وسوف نتناول بشيءٍ من التفصيل فيما يخص أهم أنماط موضوع دراستنا وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول

التنشئة السياسية المباشرة

إن هذا النمط من التنشئة يشير بشكل واضح وجلي إلى المواقف والميول والاتجاهات التي يُراد نقلها وهي ذات محتوى ومضمون سياسي صرف، وهي بذلك تكون عملية مقصودة وظاهرة، فاختيار الفرد لأيدلوجية حزبية معينة وتنظيم سياسي محدد يتم من خلال التأثير والتعليم المباشر لأسرته ورفاقه وثلته والجماعات الخاصة به، وهناك أكثر من قناة يتم من خلالها هذا النمط من التنشئة وهي:

١- التقليد والمحاكاة:

تعد هذه العملية من أبرز صور التعلم التي يكتسب الإنسان من خلال نافذتها المطلقة على مختلف أشكال النماذج السوسيوسياسية، وهذه العملية مستمرة ترافق حياة الإنسان منذ بواكير حياته وحتى خريف عمره، فالكثير من اكتساب القيم والممارسات والسلوكيات والمهارات التي تصب بهذا الاتجاه تدرج ضمن هذا الإطار، فالصغير يقلد الكبير والفقير يقلد الغني والابن يقلد أبيه والبنيت تقلد أمها، فالكثير من المعطيات المتوافرة في واقعنا الاجتماعي الذي نعيشه هي نتاج هذه العملية التي تعد قطب الرحى في هذا الجانب، وطريقة التعلم هذه تتم من خلال طريقتين لا ثالث لهما وهما إما تكون عن طريق مجهود مقصود وواعي، أو قد تكون عن الطريق الثاني وهو الاقتباس بدون وعي للقيم والأنماط السلوكية المختلفة من الآخرين، وعليه فلا غرابة أن نجد الكثير من التفاصيل الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية من حياتنا تدخل ضمن ثنايا هاتين الطريقتين، ومن هذا المنطلق نرى أن السلوك السياسي والممارسة الحزبية التي يقوم بها الكبار من الوالدين

والمربين والمعلمين نجد صدها لدى الناشئة الصغار بوعي أو بدون وعي فالتأثر بالأفعال السلوكية ذات الصبغة السياسية لها أثرها البالغ الذي تصطبغ بها حياة الأجيال في مقتبل أعمارهم.

ومما يجعل التقليد والمحاكاة أهمية قصوى في حياتنا الاجتماعية والسياسية هو أن هذه الظاهرة تمثل قاسماً مشتركاً لدى جميع البشر بصرف النظر عن ثقافتهم وأيدلوجياتهم وهو في جوهرها استجابة فرد لمثير يصدر عن فرد آخر، وبين الاستجابة والمثير تشابه قد يقارب بينهما إلى درجة التماثل، ويتدرج التقليد عند الكائن الحي من مجرد إثارة الانتباه إلى أن يصل إلى مستوى التقليد الصحيح، وقد دلت الكثير من الابحاث والدراسات بهذه الصدد ومنها دراسات (فالتين) أن التقليد يظهر بشكل قوي عند الناشئة أكثر من الفئات العمرية الأخرى^(١).

وبذلك نجزم أن التقليد بموجب ذلك يكون أكثر فعالية، كلما ازداد الناس قريباً والتصاقاً فالأدنى رتبة يقلد الأعلى والصغير يقلد الكبير، ولاسيما تأثر الأبناء بالآباء فيما يعتقدون من افكار وقيم ومعتقدات سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو سياسية لأنهم يؤمنون أي الأبناء أن آباءهم يمثلون قدوة صالحة ينبغي الاحتذاء بهم في كل شئ وإن كان هذا التأثير قد تراجع إلى حد كبير في الوقت الراهن.

٢ التنشئة التوقعية:

تمثل الاستعدادات المستقبلية لتسلم مراكز وأدوار محددة في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والمهنية والسياسية والاقتصادية من القضايا الواردة لكل شخص قبل أن يتسلم أية مسؤولية أو منصب بفترة مسبقة، فمثلاً على الصعيد المهني نجد أن طالب الطب يبدأ بالتفكير قبل وقت محدد فيتصرف على ضوء توقعه كطبيب، وهذا الحال ينطبق أو ينسحب على الحياة السياسية، فالذي ينتمي إلى حزب معين يتطلع أن يتبوأ موقعاً في البنية الهرمية لهذا الحزب بدءاً من القاعدة ووصولاً إلى تقلد مناصب رفيعة المستوى في قمة الهرم.

(١) د.فؤاد البهي السيد، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٢٢-١٢٣

إن التطلع نحو تحقيق الأمنيات هي تدخل ضمن دائرة التخطيط المستقبلي وضرورة التهيؤ للمهام في القادم من الأيام وما تتضمنه من توقعات تمثل أحلاماً لا يألو الحالم بها جهداً في أن يحولها إلى حقيقة يعيشها على أرض الواقع، ولكن نجد أن بعض هذه التوقعات قد تكون غير قابلة للتحقيق الميداني ويجانب التوفيق تحقيقها لصاحبها مما يقدر جذوة الأمل لدى الفرد بحيث تولد لديه حالة الفشل والاحفاق هذه دافعاً وبارقة أمل لتجاوز العثرة والدخول في معترك الحياة بهمة ونشاط من جديد، ولكن يجب أن تكون مثل هذا النمط من التنشئة تتوافق والقدرات والامكانيات المتاحة الذاتية سواءً على الصعيد الفردي والمؤسستي .

٣ التعليم السياسي:

ويراد به كل العمليات المقصودة والمخطط لها لنقل الميول والمواقف والتوجهات السياسية من الجيل القديم إلى الجيل الجديد، ومن الآباء إلى الأبناء ومن السلف إلى الخلف، وهذه العملية تتم عن طريق مؤسسات ومصادر التنشئة السياسية وهذا على النقيض من المحاكاة والتنشئة التوقعية فإن المبادرة في هذا النمط تأتي عن طريق بوابة الجهة المشرفة على التنشئة وليس عن طريق الشخص المراد تنشئته، فأهمية التعليم السياسي تبدو واضحة وجلية في المجال الحزبي والسلوك السياسي، وتعد عملية التعلم من الوظائف الهامة التي يؤديها النسق التربوي والتعليمي، وهي تعني إحراز الفرد على المعارف والحقائق المطلوبة في عملية التوافق مع الآخرين ولاسيما إذا كان يعيش في كنف بيئة مضطربة سياسياً ويحتاج إلى ميكانزمات فعالة في التعاطي معها بشكل صحيح وهذا لا يتم الا من خلال التكيف والتأقلم معها، إضافة إلى ذلك فإن هذه العملية تساعد إلى حد كبير على إكتساب الخبرات من المحيط الذي يعيش فيه الفرد^(١) .

(١) د. صبيح عبد المنعم أحمد، الضبط الاجتماعي، مركز البحوث والدراسات، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٩٥

ولا تألوا الأحزاب السياسية جهداً من خلال عملية التعليم أن تعمل على جذب أكبر عدد ممكن من المواطنين بواسطة الحملات التعبوية التي تقوم بها للدعاية لأفكارها وبرامجها الانتخابية ودفعهم للمشاركة إلى جانبها كي يتسنى لها الظفر بالفوز في المعترك الانتخابي، وتعمل هذه الأحزاب عن طريق قنواتها التعليمية على تشجيع الأفراد على المشاركة في الاتجاه الذي تتبناه وتقوم بالدعاية له، أما في وقت الهزات السياسية والانقلابات العسكرية والتغييرات التي تطرأ على نظم الحكم ومظاهر السلطة تبرز الحاجة في هذه الأوقات من أي وقت آخر إلى التعليم، فبعد كل ثورة أو تغيير جذري يدرك زعماءه أن نظام حكمهم لا يمكن أن يثبت ويقوي وتتوطد دعائمه إلا عن طريق لون جديد من التعليم يشكل عقول المواطنين بطريقة تدفعهم إلى تقبل النظام الجديد وتأييده والولاء له والحماس في الدفاع عنه^(١)، فمنشأ كل تدافع سياسي أو تنافس حزبي هو نتيجة هذا الضرب من التنشئة وهو يمثل جوهر الحراك السياسي والحزبي نتيجة التثقيف السياسي الذي هو محصلة التعليم السياسي الذي تحرص كل التكتلات والتنظيمات السياسية في الاعتماد عليه في نشر آيدولوجيتها الحزبية، وهذا الأمر لا يسري ولا ينطبق على الدوائر والجهات التي تكون خارج منظومة الحكم، فالكثير من الحكومات والسلطات وعن طريق مناهجها وموادها الدراسية والتربوية في مؤسساتها التعليمية تركز وتوظف كل إمكانياتها وقدراتها وطاقاتها في هذا المجال بتثقيف جيل الأمة بموروثها الفكري والسياسي التي انتهجتها في ممارسة السلطة على صعيد الدولة والمجتمع بعد أن أثبت من خلال التطبيق العملي في الواقع السياسي نجاحته ونجاحته كممارسة وسلوك، وتحصين الأفراد من الانزلاق في ترهات الأفكار الهدامة.

٤- الخبرات والتجارب:

يمر الفرد بمحطات مختلفة طيلة فترة حياته وقطار عمره ويمارس مختلف

(١) د. مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، مصدر سابق، ص ٣٢٢.

المهام والفعاليات والأنشطة، ويتبوأ أدوار ومراكز متعددة وتحدث خلال مسيرته العمرية والوظيفية والسياسية الكثير من الوقائع ولأحداث التي يتعلم من خلالها الكثير من المهارات التي تصقل مواهبه الأساسية وتزوده بالكثير من الجوانب العملية والتطبيقية من خلال المشاركة في مختلف الأنشطة، وبتراكم الخبرات يزداد رصيده من حيث الكفاءة وتجاوز الأخطاء وتعزيز المواقف الايجابية ولا سيما في الحياة السياسية والحزبية التي يستفاد منها المرء المشارك في أنشطتها وخصوصاً العمل السياسي منها على وجه التحديد ولديه اهتمامات فكرية وميول أيولوجية وله أهداف وغايات يتطلع إلى تحقيقها عن طريق تسلم مراكز القوة والنفوذ في البناء الهرمي للمؤسسات السياسية والكيانات الحزبية التي ينتمي إليها.

وعلى ضوء ذلك يتضح بشكل لا يدع مجالاً للشك بأن هذه الخبرات والتجارب تعد أداة مهمة وركيزة أساسية لعملية التنشئة السياسية، وذلك نجد أن الأحزاب العريقة تمتلك من الخبرة والكفاءة الجيدة مما يجعلها مؤثرة في الحياة السياسية في دولها ومجتمعاتها، لكونها تجيد اللعبة الديمقراطية وتتنقن قواعدها وأصولها بحيث تجعلها قادرة على اكتساح السباق الانتخابي عندما تكون المنافسة على أشدها بينها وبين غريماتها من الأحزاب الأخرى ولاسيما الفتية منها، فضلاً عن دورها المؤثر في استقطاب الرأي العام إلى جانبها وخاصة إذا كان الأخير قد خبر تاريخها ومصداقيتها وكفاءتها في إدارة مجتمعاتها وبذلك فإن مثل هذه الأحزاب سوف تكون لها قاعدة جماهيرية عريضة تؤيدها في أهدافها وتطلعاتها ومواقفها المختلفة في الحياة السياسية.

المطلب الثاني

الأنماط غير المباشرة للتنشئة السياسية

توطئة:

بما أن الإنسان كائن اجتماعي يميل إلى الاختلاط مع بني جنسه ومن خلال مناشطه وفعالياته التي يمارسها فإنه يكتسب الكثير من رؤاه الفكرية وقناعاته

الايولوجية ويتعلم مختلف الضروب والنماذج السلوكية عن طريق علاقاته الاجتماعية، فالاتجاهات والقيم الثقافية والاجتماعية والسياسية التي يقتبسها الفرد عبر محطات العمر المختلفة لا بد وأن تحدد معالم خارطة التنشئة السياسية له وتعين إطار ثقافته الحزبية، وسنسلط الضوء على بعض الجوانب التي يحدث من خلالها هذا النمط من هذه التنشئة وهي كما يأتي:

١ الانتقال الذاتي للتوجهات السياسية:

يقوم كل فرد ولاسيما في مرحلة طفولته بالتواصل مع عدد غير قليل من السلطات غير السياسية كالسلطة الأبوية في البيت وسلطة المعلم في المدرسة، وهذا التواصل سوف يولد لديه حالة من الإدراك للبيئة السياسية ورموز السلطة فيها، وبذلك فإنه سيقوم بنقل الأحاسيس والمشاعر التي واكبت حياته ونماها في شخصيته منذ بدايات حياته إلى العالم السياسي الموجود من حوله، وعليه فإن هذه المرحلة الانتقالية من حياة الانسان تعد مرحلة مفصلية ومؤثرة في اتجاهاته وميوله السياسية التي هي نتاج ثقافة مجتمعه .

فالقواعد الأساسية وما تنطوي عليه من مهارات وتجارب وخبرات يتعلمها الانسان منذ نشأته وحتى بلوغه سن النضج والاكتمال بدءاً من بيئته الأسرية ومروراً بالمؤسسة التربوية وإنهاءً بمجتمعه المحلي حول نظرتة إلى السلطات في مختلف هذه البيئات لابد أن يسقطها على مجتمعه السياسي، من خلال تبلور بعض الأفكار والرؤى والاتجاهات التي كانت نتاج تفاعل ومخاض حياته في البيئات التي سبقت إنتقاله إلى البيئة السياسية فكل الأنشطة والفعاليات غير السياسية التي يمارسها خارج اللعبة هي تعد بحد ذاتها تمهيد وبوابة للإنتقال إلى عالم السياسة⁽¹⁾ .

(1) Gabriel Almond (A Function Approach to Comparative Politics) in Gabriel Almond and James Coleman (eds) The Politics of the Developing Areas princeton University Press ،1960) ،P. 28.

فالمراء الذي يخوض غمار تجربة الحياة بما فيها شقها السياسي لا بد أن تصوغ فكره المؤدلج فيميل إلى الاتجاه الذي يتوافق ومنهجه السياسي ومعتقداته الحزبية وعن طريقها يكتسب مهارته الشخصية وموهبته الذاتية في التعاطي مع مختلف الأحداث التي تحدث في الواقع السياسي بالحكمة المطلوبة التي يمكن أن تستوعب جميع الطارئات من الوقعات بأناة وصبر يستطيع من خلالها أن يستدرك الهفوات ويقبل العثرات ويتجاوز الثغرات بشكل تمكنه من أن يقف على رجليه صلباً قوياً أمام الرياح العاتية للخصوم التي تريد أن تنال من عزمته وتطمح أن تبتث روح الانكسار والهزيمة في ذاته بدل روح المواجهة والمطالبة في قرارة نفسه فالثبات على المبادئ والدفاع المستميت عنها والتضحية من أجلها بكل غال ونفيس ستكون الغلبة لمن هم من تتطبق عليهم هذه المقاييس وصدق من قال من صبر ظفر.

٢ التدريب المبدئي:

وهو يمثل أحد وجوه التعليم غير المباشر وأبرز ضروريه، فعملية نقل الخبرات والمهارات من الجانب غير السياسي إلى الجانب السياسي، فممارسة مختلف الأنشطة والفعاليات في المجالات غير الساسية سواء كانت تتم في المجال الاقتصادي أو الاجتماعي أو الرياضي والقائمة على التنافس والصراع وإثبات الجدارة وتحقيق الظفر فيها، كلها تندرج ضمن خانة الاستعداد الأولي للدخول في معترك الحياة السياسية وخضم العمل الساسي من أجل تحقيق الأهداف الشخصية ذات الصبغة السياسية، فتعلم قيم الفوز والنجاح وتقبل الخسارة وممارسة العضوية بشكل فاعل وأداء الأدوار في الكيانات والتنظيمات المهنية والرياضية والفنية والأكاديمية كلها تعد تمهيد أو مقدمة لممارسة المفاهيم والأفكار من الناحية العملية في الحياة السياسية.

ولابد أن نشير إلى أهمية التدريب المبدئي في حياة الانسان كونها تجسد مدى قدرته على استيعاب مختلف الظروف والتعامل معها بواقعية وعقلانية بصورة

تقضي إلى إغناء مسيرته الحياتية بما فيها الشق السياسي الذي يحتاج إلى مراس وخبرة في التعاطي مع الوقائع والمستجدات بطريقة تتسم بالنضوج الفكري والحنكة المطلوبة من أجل الخروج بنتائج إيجابية تصب في نهاية المطاف لصالحه، فأيجاده قواعد اللعبة السياسية لا بد منها من أجل تحقيق النجاح في العمل السياسي، كما أن تلافى الأخطاء وتجاوز السلبيات وأخذ العبرة والعظة منها وتأشير نقاط القوة والضعف كلها تندرج ضمن زيادة رصيد كفاءة الفرد في إدارة مختلف الملفات المتعلقة بحياته السياسية بشكل مباشر أو غير مباشر.

إن ارتفاع مستوى الكفاءة والنجاح الفردي أو الجماعي لا يمكن أن تأتي من فراغ كما معروف لدى الجميع، بل أن ذلك سيكون محصلة عمل مضني وشاق تتخلله الكثير من المصاعب حتى يمكن الوصول إلى الأهداف المتوخاة منها على صعيد النشاط السياسي والحزبي^(١).

لذا فإن من أبرز وجوه المنافع المُجناة في مثل هكذا تدريب حتماً سيؤدي إلى تجاوز كل تصرف غير مدروس أو أية مراهقة سياسية ربما ستؤدي إلى نتائج لا يحمد عقباها من حيث التداعيات المتمخضة عنها أو الإفرازات المترتبة عليها والتي ستكون ضريبتها باهضة سواءً على مستوى الأفراد أو الكيانات والتي قد تتمثل في خسارة السباق السياسي أو ما يترتب عليه من تراجع في التأييد الجماهيري وانحسار للنفوذ لهذا التنظيم السياسي أو ذلك، وفقدان جميع أوراق القوة في معترك المنافسة الحزبية وبالتالي ستكون النهاية مخيبة للأمال وعندئذٍ تذهب جميع الأحلام في الظفر بالسلطة والنفوذ أدراج الرياح.

ثالثاً التعميم:

إن ما يتعلمه المرء في الحياة الاجتماعية بمختلف مناحيها ومناشطها المتعددة يمكن أن ينسحب ذلك على الحياة السياسية لا محالة، فتكوين وبناء

(١) ريتشارد داوسن وآخرون، التنشئة السياسية، منشور جامعة قار يونس، بنغازي ٢٠٠٢، ص ١٣٧-١٣٨.

الشخصية وما تنتشره من مبادئ وأفكار تتم في وسط الثقافات الفرعية والجماعات الأولية ومن ثم تنتقل إلى الحياة السياسية حيث ينظر المرء إلى الجماعة الثانية بمنظار الأولى على ضوء قاعدة التعميم، لذا فإن تشكيل الذات السياسية تمر قبل كل شيء بالمنظومة القيمية وما تنطوي عليه من أعراف ومعتقدات ومعايير في المجتمعات المحلية ومنها يتم تعلم هذه الذات ثقافتها وعلى ضوءها تتشكل مواقفها وتتبلور اتجاهاتها السلبية أو الايجابية من مختلف القضايا الحياتية على حد سواء وعن طريقها تتم عملية التعميم من الحياة الاجتماعية إلى الحياة السياسية.

فالمبادئ والأفكار والمعتقدات والتصورات التي يتعلمها الفرد منذ نشأته الأولى لا بد وأن تصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصيته مما يجعله يحكم على مختلف المواقف ذات الطابع السياسي التي يمر بها عبر سني عمره وفقاً لمنظور عناصر ومكونات الثقافة الاجتماعية التي درج على تعلم مبادئها ومضامينها منذ باكورة حياته والتي تشكل جزءاً لا يتجزأ من بناء ذاته وتكامل شخصيته.

نخلص إلى القول مما تقدم بأن الثقافة العامة التي أكتسبها المرء في مجتمعه المحلي تعد المرجعية الأساسية التي تمثل الإطار العام التي يتم الحكم عليها على الكثير من المواقف الحياتية التي يمر بها بما فيها ذات الشأن السياسي، لسبب بسيط جداً وهو أن ما ينتشره منذ نعومة أظافره ومقتبل عمره تبقى ملازمة له حتى في أواخر حياته بكافة اتجاهاتها السلبية والايجابية على حد سواء وبصرف النظر عما إذا كانت الأحكام التي يصدرها صائبة أم خاطئة لأنه أضحي أسيراً لها ومنقاداً لتوجهاتها ومطوعاً لمبادئها، ونادراً ما نجد أن هناك أشخاصاً يعدلون من مواقفهم وأفكارهم واتجاهاتهم التي درجوا عليها منذ صغرهم ولذلك لم يكن مخطئاً من قال أن التعلم في الصغر كالنقش على الحجر وأن من شبَّ على شيء شاب عليه ومن شاب عليه مات عليه.

المبحث الرابع

دوافع وأساليب التنشئة السياسية وعلاقتها بالانتماء الحزبي

تمهيد:

لا محالة ان القيام بعملية التنشئة السياسية لا بد وأن تقف خلفها مجموعة من الدوافع وهذه الدوافع تشكل في حقيقة أمرها بواعث تعد محركات أساسية في إدامة زخم عملية التفاعل المتواصل ما بين الانسان ومجتمعه بمختلف مناحيه، فالانقطاع عن مواكبة التطورات الحاصلة في البيئة الاجتماعية والسياسية يجعل المرء يعيش حالة من الاغتراب الفكري والمكاني عن واقعه، ومن هنا جاءت هذه البواعث لكي تضع حداً لحالة الانقطاع التي تنشأ في بعض الأحيان بفعل ظروف قاهرة تمثل حالة استثنائية في مسيرة الفرد والمجتمع، كما أن اختيار الأساليب المعتمدة عليها في القيام بتنشئة سياسية رصينة ومعتبرة من شأنها أن تحقق الأهداف المرجو منها في استمالة الأفراد نحو تيارات حزبية تعي المسؤولية التاريخية في الاسهام الايجابي في إنتاج مناخ سياسي متعافي من ادران الفوضى والاضطراب والصراع الذي يغلف في بعض الأحيان الحياة الحزبية .

المطلب الأول

دوافع التنشئة السياسية وأثرها في الانتماء الحزبي

هناك مجموعة من الدوافع التي تقف خلف تنشئة من هذا النوع وهذه الدوافع تمثل مسوغات منطقية ومبررات عملية للأخذ بها والإلمام بقواعدها وضرورة التركيز على تبنيها كحزمة واحدة لما لها من دور فعال يفضي إلى بلوغ الأهداف المنشودة إليها، وأبرز هذه الدوافع هي ما يأتي:

أولاً: الثقافة:

وهي العملية التي يتم من خلالها اكتساب الفرد عناصر المنظومة القيمية وتشرب مبادئها والتي تشكل عناصر حيوية في ثقافة المجتمع، وهذا العملية تتم

بطريقة أوتوماتيكية، فبمجرد التعرض لها تضحى أمراً واقعاً لا محيص منها، فهي تمثل ضغطاً اجتماعياً لا يمكن التحرر أو الخلاص من سطوته وسيطرته وذلك بفعل أثره الحتمي في نفوس وضمائر الأفراد فيدفعهم إلى تبني اتجاهات وسلوكيات معينة ومحددة مفروضة عليهم حسب خارطة المجتمع القيمية والتي سوف تتمدد وتتعدى آثارها على الحياة الاجتماعية والسياسية بحيث تتغلغل في اللاوعي وتصبح جزءاً أساسياً في تكوينهم، لأن حرية الإنسان ليست مطلقة وإنما هي حرية نسبية، وبذلك فإن هذه العملية تهيء الإنسان سيكولوجياً بأن يتأقلم مع ظروف المجتمع وأوضاعه وظروفه المختلفة، وإن هذه العملية التي يخضع فيها هي سابقة على وجوده وهي تفرض على كل فرد في المجتمع مجموعة من الأعمال والأفكار الملزمة له والتي يجدها أمامه .

وتتركز عملية التثاقف على اكتساب الفرد والجماعة عن طريق خصائص ثقافة أخرى من خلال التفاعل، أو هي اكتساب الثقافة بالمشاركة والاتصال أو عملية التغير الثقافي الذي ينجم عن الاتصال المستمر بين جماعتين متميزتين ثقافياً، ولذلك اهتم المختصون في هذا المجال على أهمية دراسة انتقال التراث الثقافي زمنياً داخل الثقافة الواحدة، أو عبر ثقافات متعددة^(١)، وعلى ضوء ذلك أن التنشئة السياسية تركز على عملية المثاقفة التي على التواصل والتفاعل الايجابي حتى تكون الثمار المجناة من هذه العملية ايجابية ومخرجاتها تصب في صالح تحقيق النضج الاجتماعي والسياسي للأفراد والجماعات .

ثانياً - الضبط والتحكم:

من الأفكار الرئيسة والجوهرية في تأريخ الفكر الاجتماعي والسياسي ولاسيما عند الأمم القديمة هي فكرة المحافظة على النظام القائم من خلال السيطرة على الآليات التي تعمل على ضبط إيقاع الحياة ما بين أعضاء المجتمع الواحد بحيث يمكن التحكم على دوافع الانسان الذاتية باتجاهات مقبولة سيكولوجياً وسياسياً

(١) د. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص ١٤.

بحيث لا تكون لها إفرزات سلبية عليه وعلى المجتمع في آن واحد ، فالمحافظة على وجود علاقة طبيعية بين الفرد وبين الهيئة السياسية والاجتماعية التي ينتمي لها فإنها حتماً سوف تفضي إلى المؤامة بين التطلعات الشخصية ومقتضيات المصالح العامة، وعليه فإن عملية السيطرة على الواقع في حياة الفرد المدنية والسياسية تفرض عليه بماذا يشعر؟ وكيف يفكر؟ وماهي القواعد التي ينبغي الاستجابة كونها تكون أساس النظام السياسي في مجتمعه بما يحقق الاندماج والتلاحم بين الأفراد ضمن النظام قائمة على أساس التوجهات الثقافية والسياسية المتماثلة والمتناسقة والملائمة، ويرى (ادوارد روس) أن هناك منافع مشتركة لأي مشروع يمكن تحقيقه بعملية التعاون بين مجموعة من الأفراد وذلك عن طريق حرية النشاط الذي يمارسونه، ولكن عندما تتحد منفعة التعاون هذه بمجموعة من الأفراد وتقتصر هذه المنفعة عليهم لكي يتمتعوا بالعوائد المتوقعة فالضرورة تتطلب وضع حدود للممارسات ومن بين هذه القيود الضغوطات الجمعية على الأفراد الذين يريدون الافلات من المشاركة⁽¹⁾، إن الحياة الجمعية المشتركة تتطلب السيطرة على النزاع المتعارضة والأهواء وصهرها في بوتقة واحدة، لأنه ليس بوسع التلقائية أن تحافظ على تماسك المجتمع وعلى الأخص في أوقات التشنج الاجتماعي، والنظام في جوهره مجموعة قواعد ملزمة تقوم بوظيفة ضبط اندماج وتلاحم العناصر المكونة له، بعبارة اخرى إن طبيعة الالتزام تقتضي فرض الجزاء عند مخالفة أحكام القواعد المعمول بها، لأنه لا يوجد مجتمع بدون قواعد ولا قواعد بدون سلطة التي تتولى وضعها لكي يعرفها بالشكل جميع أعضاء الجماعة وتشرف على تطبيقها .

ثالثاً: تعلم الأدوار:

لكل إنسان منذ ولادته ولحين مماته أدوار متعددة في حياته عليه أدائها وفق ما تقتضيه المصالح الخاصة والعامة في كل مرحلة عمرية يمر بها، الأمر الذي يتطلب منه تعلم طريقة أدائه لها بالشكل المطلوب وبالصورة الصحيحة، ومفهوم

(1) د. صبيح عبد المنعم أحمد، الضبط الاجتماعي، مصدر سابق، ص ٢٥ .

الدور وفقاً لذلك ينطوي على مفهوم الالتزام الواجب القيام به لأنه قد ثبت مسبقاً بفعل القواعد الاجتماعية المعمول بها في المجتمع سواءً على الصعيد الديني أو الاجتماعي أو السياسي كونه يتضمن حالة الاندماج في الهيئة الاجتماعية التي تحدد المناشط والفعاليات التي يتوجب القيام بها، وكل دور له صلة بأدوار وأوضاع مختلفة، وأن الأدوار المتعددة التي يقوم بها الفرد في مجموعات ذات طبيعة وأهداف مختلفة قد تؤدي إلى بروز ما يسمى بظاهرة صراع الأدوار وذلك عندما يتعارض دور الفرد في مجموعة معينة مع دوره في مجموعة أخرى تختلف عن الأولى، الأمر الذي يعرض الأفراد إلى مواقف قلقة وفي بعض الأحيان إلى قد تكون متناقضة الأمر الذي يفقد توازنه أو يغلب ولاء على ولاء آخر.

والدور هو نمط السلوك الذي تنتظره الجماعة من فرد ذي مركز معين فيها، وهو سلوك يميز الفرد عن غيره ممن يشغلون مراكز أخرى فالمجتمع ينتظر من الرجل غير ما ينتظره من المرأة، ومن الراشد غير ما ينتظره من الطفل، والدور يختلف باختلاف ثقافة المجتمع وباختلاف سن الفرد وجنسه ومهنته، وكل دور يفرض على صاحبه أن يتسم بسمات معينة وأن يتخلى عن سمات أخرى، فدور الأب غير دور القاضي، ويندر أن يقوم الفرد العادي بدور واحد بل أكثر من دور في حياته فيكون الرجل ابناً وأباً وزوجاً وصديقاً وموظفاً وعضواً في النادي، وقد تتسجم متطلبات هذه الأدوار بعضها مع بعض أو تتصارع وتتنافر بحيث لا يستطيع الفرد التوفيق بينها مما يكون له أثر سيء في شخصيته^(١).

بينما نرى ان الفرد الذي يتمكن من أن يحقق نوعاً من التوازن ما بين متطلبات كل دور على حده يستطيع من أن يحقق حالة التكامل الأمر الذي يفضي إلى تحقيق النجاح المنشود على مختلف الصعد، لأن مساهمة الفرد بالجماعة التي ينطوي تحت لوائها إذا كانت قوية راسخة، وإذا لم تتعرض إلى صراع أو تعارض

(١) د. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٤٣٩.

مع متطلبات المساهمات الأخرى، أو مع بعض الرغبات العارضة فإنها تحقق إشباعاً ذاتياً للفرد والجماعة على حد سواء.

المطلب الثاني

أساليب التنشئة السياسية وأهميتها في الانتماء الحزبي

توطئة:

من أجل الشروع ببناء منظومة تنشئة سياسية قائمة على أسس صحيحة وقواعد سليمة فلا بد من اعتماد حزمة من أساليب ناجحة تحقق الأهداف المرجوة منها وبدون هذه الأساليب فإنه من غير الممكن انجاز بيئة سياسية ناضجة قادرة على مواكبة الأحداث المتسارعة في المشهد السياسي والتعاطي معها بروية ثاقبة وفكر سديد، وبما أن ايدلوجية كل حركة سياسية وحزب سياسي تختلف من واحدة لأخرى فإن الأساليب التي المعتمدة من لدن هذه الأحزاب هي الأخرى تختلف من واحدة لأخرى في مسألة التنقيف السياسي، فبعضها تعد أساليب ناجحة ورسينة والبعض الآخر منها تفتقد إلى المواقف المبدئية وتفتقر إلى القواعد الأخلاقية وإن التنظيمات في أي حزب سياسي كلما كانت تتسم بالفعالية والحركية والنشاط كلما كانت أكثر نفوذاً وتأثيراً على الرأي العام بما يقيمه من صلات وروابط مع سكان المجتمع المحلي وبذلك تكون هذه التنظيمات أداة للتعبئة السياسية والتنقيف السياسي ومن ثم التأثير في واقع النظام السياسي^(١)، بيد أننا سوف نركز على أبرز الأساليب الشائعة بصرف النظر عن تصنيفها وتوصيفها بالسلب أو الإيجاب في هذا المجال وهي على النحو الآتي:

أولاً - الأجراء:

تمثل حالة الإجراء من أبرز الأساليب التي يتم التعويل عليها في عملية الكسب الحزبي وفق مقاسات الجهات السياسية التي ترعاها بحيث تستوعب كافة

(١) د. صالح جواد الكاظم وآخرون، الأنظمة السياسية، العاتك للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٠٦.

المتغيرات الطارئة وتتعامل مع كافة المستجدات بمرونة عالية وبواقعية جيدة لما تتضمنه من محفزات مادية ومعنوية يسيل لها لعاب الكثير من الباحثين وراء المنافع الذاتية واللاهثين خلف المصالح الشخصية مادام أن هذه غريزة فطرية توجد في نفس كل كائن بشري وإن كانت هذه الغريزة تتباين مقاديرها وتأثيراتها من شخص لآخر، ولا تألوا بعض الأحزاب جهداً في تقديم حزمة من الامتيازات المادية والمعنوية للأفراد الراغبين في الانضمام إلى صفوفها من أجل توسيع قاعدتها الجماهيرية حتى تصبح رقماً صعباً في المعادلة السياسية وصاحبة الأوزان الانتخابية من العيار الثقيل، ولكن يجب أن نستدرك أن ليس كل الأحزاب تتكأ على هذا الأسلوب وتلجأ إليه، بل غالباً ما تتبناه الأحزاب صاحبة التمويل الكبير في نشر أيديولوجيتها الفكرية من خلال توظيف المال السياسي في تحقيق أجنداتها الحزبية .

وغالبا ما تتجلى هذه الإغراءات في الوعود الانتخابية للمرشحين في المواسم الانتخابية التي تحمل الكثير من الوعود والكلام المعسول الذي يكاد يصيب الناخب بالتخمة الكلامية لكن أكثر هؤلاء المرشحين غالباً ما يتصلون عن برامجهم الانتخابية وسيتنكرون لناخبيهم وهذا يمثل أبشع استغلال يمكن أن يخرج من أقبية تلك الكيانات السياسية^(١)، ولكن يجب استدراك حقيقة مفادها وهي أن عندما تنضب عملية ضخ الأموال التي كانت مخصصة للكسب الحزبي فإن رصيد التأييد للأحزاب التي تعتمد مثل هذا الأسلوب حتماً سيتراجع كما أن الرهان على هذه الآلية سوف يكون رهاناً خاسراً على المدى البعيد لأن الانتماء الحزبي القائم على تحقيق المصالح المادية لم ولن يكون إنتماءً صميمياً صادقاً، وإذا كان الإغراء في جانبه المادي يمثل أحد أوجه هذا الإغراء، فإن الوجه الثاني له يتجسد بالجوانب المعنوية كالحصول على المكانة السامية والمركز الحزبي المرموق، ولذلك فإنه لا يقل أثراً وتأثيراً في الانجذاب إليه.

(١) د. كلود يونان، التضليل السياسي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٥٢ .

ثانياً الإرغام:

يمثل هذا الأسلوب الوجه الآخر من سياسة بعض الأحزاب المتنفذة في استمالة أفراد المجتمع في الانضمام إليها، وهو بطبيعة الحال أسلوب شائن وفج لا يمكن تجاهل وجوده لأنه يعد حقيقة في الواقع السياسي تمارسه عدد غير من الأحزاب في بعض الدول الشمولية، حيث أن سياسة الضغط النفسي والتلويح من الحرمان من الحقوق والامتيازات المادية والمعنوية وطريقة التهديد والوعيد بالويل والثبور لكل شخص لا يدين بالولاء التام للحزب ولاسيما إذا كان هذا الحزب قابضاً على السلطة ومن صناع القرار في المجتمع، تمثل أبرز المناهج المعتمدة في أجندات الأحزاب النافذة، فسياسة التمييز ما بين شخص وآخر يتم وفق منظور الأحزاب التي تتبع هذا الأسلوب تتم على أساس الانتماء إلى صفوفها والولاء لها دون غيرها من الأحزاب الأخرى.

وغالباً ما نجد مثل هذا الأسلوب شائعاً ورائجاً في النظم الشمولية والدكتاتورية التي تسام شعوبها على التمتع بحقوقها الطبيعية كحق العمل والتملك والتوظيف والحرية والتنقل والسفر من عدمها إذا لم يعلنوا ولائهم وإخلاصهم للحزب الحاكم ونقيض ذلك يتم تصنيفهم بأنهم اناس يطعن في ولائهم ويُشكك في إخلاصهم لنظام الحكم الذي يقوده مثل هذا الحزب المتسيد والمتصدي، للعمل السياسي، إن أسلوب الابتزاز والمساومة المتبع سيجعل الكثير من الأفراد الذين ينضمون إلى هذا الحزب مكرهين لا مؤمنين بأهدافه ومبادئه^(١)، (٢) ولكن يجب الإشارة في هذا المجال أن الأحزاب الحاكمة يمكن أن توسع من قاعدتها الجماهيرية على المدى المنظور ولكن على المدى البعيد لا يمكن أن يُكتب لها النجاح ولاسيما إذا ما تعرضت مثل هذه الأحزاب إلى أزمات ونكسات تحد من نفوذها وسيطرتها على مقدرات الدولة والمجتمع حيث نجد سرعان ما تنفض عنها

(١) عبدالله النملي، الوعود الانتخابية أسقف عالية على أعمدة من دخان m.ahewar.Org>s.asp

جموع غفيرة من الناس كانت محسوبة على قوائمها لأنها أُجبرت على الانضمام إليها .

وتظهر هذه المشكلة التي تصنف ضمن (الرهاب الاجتماعي) في المجتمعات غير الديمقراطية أو ذات البناء المتصلب والتي تخضع لنظام الحزب الواحد والحاكم الأوحد أو الأسرة الحاكمة التي يكون فيها الفرد إذا كان من غير المؤيدين للفئة الحاكمة مرصودا في سلوكه وحديثه وعلاقاته مع الآخرين، لذا يكون هنا مهزوماً داخلياً خائفاً ممن حوله، ويظل بمرور الوقت يعاني من قلق مستمر وخوف دائم في مواجهته للآخرين^(١) .

إن أسلوب التمدد الحزبي وفق منطق القهر والقوة وإتباع سياسة الأمر الواقع في فرض الأجنداث الفئوية الضيقة لهذا الحزب أو ذاك تعد من الأساليب الرخيصة والفجة المموجة التي أثبتت فشلها وقائع التاريخ في الماضي وأحداث الحاضر الراهن في غير مكان من الدول ولاسيما التي تمر بمرحلة التحول الديمقراطي والتي تعاني من الطفولة السياسية وقلّة الخبرة في التنافس الحزبي، فاللهات وراء المكتسبات السياسية من لدن بعض الأحزاب دون إدراك الوسائل الناجحة في بلوغها سوف تكون لها ردات فعل عكسية من شأنها أن تبعث برسائل خاطئة إلى الجمهور حول مصداقيتها والتشكيك بنزاهتها والطعن في أهدافها وجديتها في الأخذ بالمجتمع من حالة التخلف إلى حالة التطور والعبور به من براثن الضياع والفشل إلى ضفة النجاح والظفر في مختلف جوانب الحياة المختلفة.

إن اللجوء إلى خيار توظيف أساليب الإكراه والتعويل إلى وسائل الابتزاز والمناورة التي تعتمد على بعض هذه الأحزاب هي في حقيقة الأمر أساليب تماثل إلى حد كبير الطرق التي تتبعها الجماعات الخارجة على القانون في تحقيق ما ترمي إليه من أهداف وما تتطلع إليه من غايات بعيدا عن الوسائل المشروعة .

(١) د. معن خليل العمر، علم المشكلات الاجتماعية، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٨، ص ٣٥ .

ولكن الأيام ستثبت حقيقة دوافع هذه الأحزاب المرعبة والمشبوهة والتي ستظهر للرأي العام جوهر عقيدتها المتهافئة آجلاً أم عاجلاً وسوف تتساقط عنها الأوراق التي كانت تستر بها عوراتها يوماً بعد آخر كما تتساقط أوراق الشجر في فصل الخريف.

ثالثاً - الإقناع:

دأبت خلايا التبشير في كل حركة سياسية أو حزب سياسي على التسويق لأفكاره وأيدولوجيته داخل الأوساط الجماهيرية من أجل التحشيد لصالحه والعمل على توسيع قاعدته الشعبية لكي يكون حضوره فاعلاً ومؤثراً في المشهد السياسي، فإذا ما استطاع أي حزب أو كيان سياسي من تحقيق أهدافه في التعبئة العريضة للجمهور فإنه سيضحى رقماً صعباً في المعادلة السياسية .

ويقدر قبول الأفراد لايدلوجية الحزب واقتناعهم بسياسته تكون مؤازرتهم له واندفاعهم للمشاركة في برامجهم ونشاطاته الجماهيرية على نطاق واسع، لذا نجد جميع الأحزاب تعمل جاهدة لجذب أكبر عدد ممكن من المواطنين لها بواسطة الحملات التعبوية التي تقوم بها للدعاية لأفكارها وبرامجها الانتخابية ودفعهم للمشاركة في صفها، كي يتسنى لها المشاركة في الحكم بنصيب وافر^(١) .

ويمكن تصنيف الأفراد الذين ينتمون إلى أي حزب سياسي بسبب الايمان بأهدافه والعقيدة المطلقة بمبادئه بحيث تكون جزءاً لا يتجزأ من شخصياتهم هم الحزبيون الحقيقيون الذين يدافعون عنه ويناضلون من اجل نصرته مهما كانت الظروف واشتدت الخطوب^(٢) .

إن التعويل على هذا الأسلوب يعد هدفاً استراتيجياً وناجحاً على المدى البعيد لأنه يستند على الإيمان المطلق بمبادئ وأفكار الحزب وإن الانضمام اليه

(١) د. سليمان صالح الغويل، ديمقراطية الأحزاب السياسية والجماعات الضاغطة، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ٢٠٠٣، ص ٦٥

(٢) د. عامر صالح في سيكلوجية الانتماء للحزب الشيوعي، <http://www.wiraqicp.com> societ y

وتبني أفكاره قولاً وعملاً تعد الذخيرة الأساسية التي يستمد منه الحزب معينه الذي لا ينفد في مواجهة عوادي الدهر ونائبات الزمان إذا ما أَلَمَّت به، لذلك لا نعجب من أناس أفنوا حياتهم وضحوا بأعلى ما يملكون من اجل العقيدة السياسية للحزب الذي ينتمون إليه لأنهم آمنوا بها إيماناً مطلقاً وراسخاً وبأفكاره وأهدافه وشعاراته، فالأحزاب التي تمتلك أنصار حقيقيين يدافعون عنه في أحلك الظروف هو حزب ناجح بامتياز يستطيع أن يتسيد الساحة السياسية عندما تعتقد الكثرة الكاثرة من أبناء المجتمع أن هذا الحزب دون غيره هو المدافع الأول عن طموحاتها ومصالحها وهمومها بالأفعال لا بالأقوال .

إن الأشخاص الذين يدخل إلى الحزب لا بسبب المصلحة أو العاطفة، بل بسبب الأيمان والعقيدة والادراك الثاقب لأفكار وأيدلوجيته ومعتقداته وأهدافه بحيث تكون هذه جزءاً لا يتجزأ من ذواتهم وآمالهم وتطلعاتهم في الحياة، هم الحزبيون الصميميون الذين يبقون في صفوف الحزب ويدافعون عنه بكل غالٍ ونفيس من أجل نصرته مهما كانت النتائج^(١) .

ولقد أثبتت وقائع التاريخ السياسي الحديث والمعاصر أن الأحزاب الرصينة والجماهيرية هي تلك الأحزاب التي يلتف حولها مؤيدين وأنصار مستعدين ببذل الغالي والنفيس من أجل الذود عن وجودها ضد كل من يتهددها ويعرضها إلى الخطر لأنهم آمنوا إيماناً مطلقاً بها، وهذا الإيمان نابع من القناعة الراسخة عندهم بصوابية المنهج الذي اختطوه لأنفسهم في الدفاع عن العقيدة السياسية التي يعتقونها أو الحزب الذي انضموا إليه.

فالإيمان الراسخ والقناعة المطلقة بمبدأ معين وايدلوجية محددة بعيداً عن المصالح الذاتية والمنافع الشخصية لهو خيار صائب وأسلوب رشيد عندما يعتمد من لدن الهيئات والمكونات والقنوات المعنية بعملية التنشئة السياسية لأنها تسير على السكة الصحيحة في إنتاج جيل مؤمن إيماناً راسخاً بفكر سياسي بعينه لا

(١) د. احسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي، مصدر سابق، ص ١٦٣ .

يمكن أن ينفك عنه مهما طالَّت الخطوب وأدلهمت الظروف، وذلك لسبب بسيط واحد وهو أنه سيكون أكثر بقاءً وأمضى سلاحاً في مواجهة التيارات الفكرية المنحرفة والطارئة التي تريد أن يكون لها دور يذكر في الساحة السياسية في غفلة من الزمن.

وعلى ضوء ما تقدم فإنه يمكن الجزم أن هذا الأسلوب يعد الرهان الرابع الذي لا يمكن أن يخذل من يتبناه ويعمل به، فالكثير من المواقف والأحداث أثبتت بشكل لا يدع مجالاً للشك نجاعة هذا الأسلوب في بناء جيل يمتلك منظومة فكرية وسياسية لها مكانتها السامية والرائدة من بين المنظومات الموجودة التي تعج بها الساحة السياسية في أكثر من مكان في عالمنا المترامي الأطراف، وإن الرأي العام الذي خيّر الحزب بالأفعال قبل الأقوال وإن همه الأول يطمح بأن يوظف جميع إمكانياته ويسخر جميع جهوده من أجل خدمة الناس فإنه لا محالة سوف يكون الحزب الذي يكون جديراً بقيادة سفينة الدولة والمجتمع إلى بر الأمان.

الخاتمة

بعد أن وصل قطار البحث إلى محطته النهائية فإنه توصل إلى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات وهي على النحو الآتي:

أولاً: الاستنتاجات:

١. إن التنشئة السياسية تعد الركن الركين في عملية التنقيف الحزبي والوعي السياسي والنضج الفكري لأبناء الشعب، ولذلك فإن أهميتها تأتي في المقام الأول الذي يعول عليه في هذا الإطار.
٢. إن القيام بهذا النوع من التنشئة ليس حكرًا على جهة معينة أو على طرف محدد بل هي من صميم جهات وأطراف متعددة تعمل من أجل بلوغ الهدف الذي وجدت من أجله في تنوير الناشئة بالواقع السياسي الذي يعيشون فيه وكيفية تحقيق الاستقرار السياسي في المجتمع وتثبيت دعائمه .
٣. إن فاعلية عملية التنشئة السياسية تعتمد إلى حد كبير على مدى فاعلية المؤسسات المعنية بها، لذا فإن أي خلل يصيب هذه المؤسسات لا بد وأن ينعكس سلباً على طبيعة هذه التنشئة.
٤. إن اعتناق فكر سياسي معين والايان بمبادئ وأهداف حزب محددة عند أفراد المجتمع ولا سيما فئة الشباب منهم على وجه التخصيص يعتمد بدرجة كبيرة على طبيعة العقيدة السياسية للقائمين والمشرفين على عملية التنشئة السياسية وهذا الاستنتاج يثبت صحة الفرضية الأولى لدراستنا هذه.
٥. إن تحقيق الاستقرار الأمني يعتمد بدرجة كبيرة على الاستقرار السياسي الذي هو مفتاح الازدهار الاقتصادي والرفاه الاجتماعي وهذا يعتمد إلى حد كبير على سلامة التنشئة السياسية ونقيض ذلك سوف يؤدي إلى إلحاق ضرر كبير باستقرار الدولة وأمن المجتمع وهذا يدل على مصداقية الفرضية الثانية لدراستنا.
٦. إن طبيعة السلوك السياسي الايجابي والسلبى على حد سواء لأفراد المجتمع أو المهتمين بالشأن السياسي فيه يتوقف إلى حد كبير على نوع الأسلوب المتبع في

هذه العملية ولا سيما من الجهات السياسية والمتصدية للعمل السياسي والنشاط الحزبي سواء في مجال التثقيف أو التوعية.

٧. إن ما تشهده الساحة المحلية من صراعات سياسية ومناكفات حزبية ومماحكات بين الفرقاء السياسيين ينم عن وجود خلل كبير في أداء ووظيفة الوكالات المسؤولة عن عملية التنشئة السياسية، الأمر الذي أفضى إلى أن تكون البيئة السياسية مضطربة، وهذا يثبت صحة فرضية دراستنا الثالثة.

٨. إن عدد غير قليل من الحركات والتنظيمات السياسية والحزبية قد مارست النفاق السياسي والتضليل الاعلامي للجمهور من خلال الديماغوجية التي اعتمدها في عملية التلاعب بعواطفه وممارسة الخداع ضده والمتاجرة بطموحاته لكي تضمن هذه الأحزاب الظفر بالسلطة والبقاء لأطول فترة ممكنة .

ثانياً: التوصيات:

١. ضرورة إعادة تأهيل وكالات التنشئة السياسية بشكل فاعل ومعالجة المشكلات وواجه الخلل التي تعاني منها حتى تستطيع القيام بوظيفتها في انتاج تنشئة سياسية رصينة تحقق الاستقرار السياسي والأمني.

٢. تطبيق نظام رصين للتربية والتعليم في جميع أقاليم ومناطق البلاد كفيل بتنمية الروح الوطنية بحيث يعزز الصلة بين المواطن والدولة، ويخفف ويلطف من حدة التباينات السياسية ولا سيما بين الجماعات المتمايضة، ويقضي على النزعات الحزبية الضيقة والميول الانفصالية المقيتة.

٣. اعتماد ايدلوجية سياسية معينة تنفق عليها الجهات ذات العلاقة وتدعمها وسائل الاعلام تهدف إلى انتاج تنشئة سياسية راشدة تعمل على تعزيز ثقة السكان بالنظام السياسي الصالح وبالحركات والاحزاب السياسية الفاعلة والمؤثرة في الساحة بعيداً عن الصراعات السياسية.

٤. ضرورة قيام البرلمان التسريع بسن قانون ينظم عمل الأحزاب ومصادر تمويلها لكي تقوم بدور إيجابي وبنّاء في التوعية والتثقيف السياسي الناضج للجمهور لكون هذه الأحزاب تمثل إحدى قنوات التنشئة السياسية المهمة والأساسية.
٥. تفعيل دور القضاء في مكافحة المال السياسي والتصدي له بكل حزم لأنه يمثل مصدراً من مصادر التهديد للوضع الأمني والسياسي ويعمل على تلويث الحياة السياسية والحزبية وينتج بيئة سياسية مضطربة الأمر الذي يفسد وينسف التنشئة السياسية من جذورها .
٦. حل وحظر جميع الكيانات والحركات والأحزاب السياسية التي تعتمد خطاباً سياسياً متطرفاً لا يتعايش مع الآخر وتعمل في ذات الوقت على شحن وتعبئة الشارع بما يؤدي إلى إحداث حالة من الانقسام الاجتماعي والسياسي داخل المجتمع الواحد .

المصادر والمراجع

** القرآن الكريم

أولاً- الكتب العربية

١. إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي، مطبعة الجامعة، بغداد، ٢٠٠٠ .
٢. د. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٨ .
٣. أنور الشراقوي، انحراف الأحداث، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٥ .
٤. بلال أمين زين العابدين، الأحزاب السياسية من منظور الديمقراطية المعاصرة، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠١٣ .
٥. د. حسنين توفيق ابراهيم، العنف السياسي في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٢ .
٦. د. رمزي الشاعر، النظرية العامة للقانون الدستوري، مكتبة الأنكلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧ .
٧. ريتشارد داوسن وآخرون، التنشئة السياسية، منشورات قار يونس، بنغازي، ١٩٩٨ .
٨. د. سليمان الطماوي، السلطات الثلاث في الدساتير العربية وفي الفكر السياسي الاسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٩ .
٩. د. صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي (أسسه وأبعاده)، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١ .
١٠. د. صالح جواد الكاظم وآخرون، الأنظمة السياسية، ط٢، العاتك للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧ .
١١. د. صبيح عبد المنعم احمد، الضبط الاجتماعي، مركز البحوث والدراسات، بغداد، ٢٠٠٩ .
١٢. علي عبد العزيز الياسري، دور مؤسسات المجتمع المدني في تعزيز الديمقراطية والأمن (العراق انموذجاً) مركز العراق للدراسات والبحوث، بغداد، ٢٠٠٩ .
١٣. فؤاد البهي السيد، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥ .
١٤. فهمي سليم الغزوي وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٦ .
١٥. د. كلود يونان، التضليل السياسي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ٢٠٠٩ .
١٦. د. ماهر صالح علاوي وآخرون، حقوق الانسان والطفل والديمقراطية، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠٠٩ .
١٧. د. مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، مكتبة الانكلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠ .
١٨. د. معن خليل العمر، علم المشكلات الاجتماعية، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٨ .
- ١٩.



ثانياً - القواميس والمعاجم:

١. ابن منظور، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار إحياء التراث الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٥ .
٢. الفيروز آبادي، العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب، قاموس المحيط، الجزء الأول، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٠ .
٣. د. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة، الاسكندرية، ١٩٩٠ .

ثالثاً - المصادر الأجنبية

1. Hauriou (a): gicque jet Gelanrd P. droit const itutionnel en isitutionnel politiques 1980 p.276 .
2. Gabriel Almond (A F unction Approach to Comparative Politics) in Gabriel Almond and James Coleman (eds) The Politics of the Developing Areasprinceton University Press ،1960) ،P. 28 .
3. Gabriel Almond and Sydney verba: The Civic Culture ،Little Brown ، Boston ،1986 ،p. 315- 324 .

رابعاً - المواقع الإلكترونية

١. عبد النملي، الوعود الانتخابية أسقف عالية من دخان، [m. ahewar. Org> s.asp](http://m.ahewar.Org> s.asp)
٢. د. عامر صالح في سيكلوجية الانتماء للحزب الشيوعي www.iragcp.com

الملخص:

تؤدي التنشئة السياسية دوراً محورياً في موضوعة الانتماء الحزبي لكونها تضطلع بعملية التربية والتنقيف السياسي للجمهور ولاسيما الجيل الجديد منهم وتسويق الأفكار والأيدولوجيات والمعتقدات السياسية من خلال عدد من الوكالات الرسمية وغير الرسمية التي تولف عناصر أساسية في تركيبة البناء الاجتماعي للدولة والمجتمع بدءاً بالجماعة الأولية الممثلة بالأسرة وجماعة الرفقة ومروراً بالجماعة الثانوية الممثلة بالنقابات المهنية والاتحادات الشعبية ومؤسسات المجتمع المدني وانتهاءً بهيئات التربية والتعليم ووسائل الإتصال الحديثة .

وهناك أنماط متعددة لهذا النوع من التنشئة ، منها الأنماط المباشرة التي تكون فيها التوجهات المراد نقلها ذات محتوى سياسي صرف والتي تعد المحاكاة واكتساب الخبرات من أبرز صورها، وهي بذلك تكون عملية مقصودة الهدف وظاهرة المعالم، أما النوع الآخر منها فهي الأنماط غير المباشرة وهي تمثل المرحلة الانتقالية لشخصية الأفراد في حياتهم والتي يتم فيها التركيز على نقل الميول والاتجاهات المتعلقة بالمواقف غير السياسية إلى الأمور والقضايا السياسية، وهناك مجموعة من الدوافع التي تدعو إلى تبني هذا النمط من التنشئة كعمليات الثقافة والضبط والتحكم وتعلم الأدوار .

وتعتمد هذه الجهات المسؤولة والحاضنة لهذا الضرب من التنشئة على مجموعة من الأساليب للوصول إلى مبتغاها في التربية السياسية والتنقيف السياسي، ومن ضمنها اسلوب، الإغراء الذي يعتمد على إطلاق عدد من الامتيازات المادية والمعنوية للشخص الذي يرغب في الانتماء لعضوية حزب ما، وكذلك اسلوب الإرغام القائم على سياسة الإكراه والتهديد والوعيد في الحرمان من التمتع بالحقوق المشروعة، أو ممارسة التضييق والقهر على الراضين في الانضمام إلى صفوف الأحزاب ولا سيما القابضة منها على السلطة كما هو الحال في المجتمعات التي تحكمها النظم الشمولية والدكتاتورية . إضافة إلى إتباع اسلوب الإقناع القائم على ضرورة الايمان المطلق بأفكار وأهداف حزب معين دون آخر بعيداً عن الأهواء الشخصية والمنافع الذاتية.



ABSTRACT:

Political upbringing plays a crucial role in party affiliation because it carries out in political education for the public especially the new generation and the marketing of ideas, ideologies and political beliefs through a number of official and non-official agencies which constitute basic elements in the social structure of the state and society 'starting with the primary group represented by the family and the group of companionship and through the secondary group represented in professional unions popular associations 'civil society organization and non- governmental organizations ending in education media and modern means of communication such as social networking sites and others. There are several types of this type of formation 'including direct patterns that the guidance to be transferred with a purely political content 'which is the simulation and the acquisition of experiences from the most prominent images and thus it is a deliberate process goal and phenomenon of land marks. The other type is the indirect patterns ' which represent the stage of transition to the personality of individuals in their lives 'which is focused on the transfer of tendencies and trends relation to informal situations to political issues. There are many motives call for adopting this type of development such as the process of acculturation control and learning from roles. The agencies and institutions responsible for this kind of formation depend on arrange of methods to reach their goals in political education and political behavior including the method of temptation which depend on the release of a number of material and moral privileges of the person who wishes to initiate to the membership of a party as well as the method of coercion based on the policy of coercion and threat and intimidation in the denial of the enjoyment of legitimate rights or the practice of harassment and oppression of the opponents to join the ranks of parties to power as in the societies governed by totalitarian and dictatorial regimes in addition to the method of persuasion based on the need for absolute faith in the ideas and objectives of a particular party without another away from personal goals and self-benefits.